
٣٣
الروائع
حسّان بن ثابت
منتخبات شعرية
المطبعة الكاثوليكية - بيروت

الروائع

آراء الادباء من شرقيين ومستشرقين (تابع)

رأي الشيخ عبد القادر المغربي

« ... ويظهر للمتصفح لهــذه الاجزاء ان المؤلف يرمي من وراء تأليفه الى غرض شريف الا وهو افادة الناشئة العربية الذين يصعب عليهم تناول هذه المباحث الادبية من معادنها. » المغربي

مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، نيسان ١٩٢٨

رأي الاستاذ سقراط سبيرو بك

قال بعد ان وصف الاجزاء الخمسة عشر الاولى :

« I have nothing but the highest praise for the work done by Professor Bustani who is rendering a great service, not only to the students, but to grown-up people who have not time enough to go through the lengthy works of the classic writers. It is difficult to say how many more volumes remain to be published, but the series is sure to be long, and I hope Professor Bustani will be able to bring his labours to a successful conclusion.» S. Spiro Bey

The Egyptian Mail, Cairo, June 4 th, 1928

رأي الاستاذ كراتشقوفسكي

« نعمت الفكرة، فكرة فؤاد البستاني في روائعه ، فقد اعطانا خير كتاب عومي عن اليازجي ، والبستاني الكبير ، وولي الدين يكن. »

اغناطيوس كراتشقوفسكي

مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، كانون الثاني ١٩٣٠

حسّان بن ثابت

منتخبات شعرية

درس ومنتخبات

بقلم

فؤاد افرام البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

المطبعة الكاثوليكية ، بيروت

١٩٣٤

٣٣ — ١

حسّان بن ثابت

؟ — ٦٧٤ ؟

شاعرٌ ، مؤرخ ، مناضل . اتصل ، في الجاهلية ، بالغساسنة ، فكان شاعر بـلاط ؛ وانقطع ، في الاسلام ، الى النبي ، فكان شاعر دين وسياسة وكفاح . ولكنه لم يترك ، في العصرين ، نزعته الخزرجية اليثربية ، فصبغ المدح والهجاء الرسميَّين بصبغة التاريخ القومي والنضال الحزبي . هذا مـا نراه في حياته ، وفي شعره ، مدة العصرين .

حياته

عصره

من الشائع في كتب الادب ان حسّان « عاش مائة وعشرين سنة : ستين في الجاهلية ، وستين في الاسلام »[1] . وقد يكون هذا الكلام معقولًا ، على طول عمر الشاعر ، لولا ما يظهر حوله من التناقض ، ومـا يكتنفه من التعمّل والتكلّف في ترتيب الاعمار والسنين على طريقة تقابُل ، وموازاة تجاور السذاجة .

---

١) تنقل هذه الكتب عن الاغـاني (٤ : ٢) ، مباشرةً او غير مباشرة ؛ ولعلّ المصدر الاصلي سيرة الرسول ، وقد قدّم صاحبها ولادة حسان كي يكبر النبي بسبع او ثماني سنين ، فيمكنه ان يسمع « بطلوع نجم احمد » ، وهو « يعقل » ، (ابن هشام : سيرة الرسول (Wüstenfeld) ص ١٠٢) ، وهـذا ما جرّ دي برسڤال الى جعل مولد حسان سنـة ٥٦٣ (de Perceval, *Essai sur l'histoire des Arabes*, tableau VII et t. II, 669) ، وتبعه على ذلك T. H. Weir, *Hassân B. Thâbit* [Encyclop. de l'Islâm II, 306]

اما التناقض فهو ان اولئك المؤرخين انفسهم ، بعد ان يقرّروا لحسان ستين سنة في الاسلام ، يجعلون وفاته قبيل خلافة معاوية (٦٦٢ — ٦٨٠) او في اوائلها ، وبعضهم يعين هذه الوفاة في السنة الاربعين للهجرة (٦٦١) او الخمسين (٦٧٠) ، او الرابعة والخمسين (٦٧٤) ، وهم ، مهما اخّروا زمن وفاته ، فلا يصلون الى الستين المذكورة . على ان اكثرهم ، حتى من المعاصرين[١] ، لم يشعروا بهذا التناقض . وشعر به غيرهم فاقرّوا ، ضمناً او صراحةً ، بعدم توفقهم الى تطبيق الحساب[٢] .

واما التكلّف فيظهر في تلك الجهود التي يبذلها المحدّثون ومدوّنو آثارهم في مقابلة الاعمار وموازاة الاعداد حتى يصلوا الى سنوات تامّة لا كسور فيها . وكم يبتسم الناقد اذا عرف ان كثيرًا من معاصري النبي مُنحوا تلك الخاصة التي مُنحها حسان ، فعاشوا « ستين سنة في الجاهلية وستين في الاسلام » ، ولنذكر منهم حكيم بن حِزام ، وحُوَيطِب بن عبد العُزّى[٣] ، وعدي بن حاتم ، وعبد خير بن يزيد ، وسلمة بن نوفل[٤] وغيرهم ! بل ما عساه ان يقول اذا عرف ان حسان لم

١) محمد العنّاني : ديوان حسَّان بن ثابت الانصاري الخزرجي، مصر، ص٧– ومن القدماء : ابن عبدالبرّ : الاستيعاب في معرفة الاصحاب : الجزء١ : ترجمة حسان .

٢) ابن الاثير : أُسد الغابة ٢ : ٤١–٤٢ ؛ ابن سعد : الطبقات ٥ : ٣٣٥

٣) ابن عبد البر : ك . م . : الجزء ١ ؛ ابن الاثير : ك . م . ٢ : ٤٠ – ٤١ ، ٧٥

٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك (de Goeje) ٣ : ٢٣١٩، ٢٣٣٥، ٢٣٥١،

وراجع في كل ما تقدم عن موازاة السنين وتطبيقها على الاعمار :

H. Lammens, *L'âge de Mahomet et la Chronologie de la Sira* . [Extrait du *J. A.*, Mars-Avril 1911, p. 212 et 213]

اما في ميزة العدد ٦٠ عند الشعوب الساميّة فمن المفيد ان يراجع :

Vigouroux, *Dict. de la Bible*, s. v. *nombre*

يختصّ وحده ، في اسرته ، بتلك النعمة ، بل « كذلك عاش ابوه ثابت[١] وجدّه المنذر ، وابو جده حرام ، ولا يُعرف في العرب اربعة تناسلوا من صلب واحد وعاش كل منهم مائة وعشرين سنة غيرهم ! »[٢].

واذًا فكيف العمل في تحديد عمر حسان ؟

امـا وفاته فيمكننا ان نقبل في شأنها الرواية الغالبة ، اي السنة ٥٤ هـ. او ٦٧٤ م. لان لدينا مـا يشير الى انه ادرك معاوية ، وانتصر له[٣] ، وكان يعيش في المدينة على عهد خلافته[٤] ، وهذا كله ينافي رأي من يجعل وفـاته في السنة ٤٠ هـ. (٦٦١ م)[٥] ، او من يزعم انه كُفّ بصره في خلافة عمر[٦] ، ونحن نراه وافر الحماسة ، شديد الهمة ، على اثر مقتل عثمان سنة ٦٥٦[٧]. هذا وليس لنا ما يؤيد الرواية الثالثة التي تجعل وفاته في السنة ٥٠ هـ. (٦٧٠ م). اما مولده فمن الصعب تعيينه. وقد مال نولدكه الى جعله في السنة ٥٩٠ « او قبيل ذلك بسنين قلائل »[٨]. ومهما يكن من امر ، فان حسان يظهر من جيل كعب بن زهير والخنساء ، او

---

١) وفي الاغاني (٤: ٣) ان والد حسان ، ثابت بن المنذر ، عاش ١٥٠ سنة

٢) هذا مـا ورد في اسد الغابة ، وتهذيب التهذيب ، والنجوم الزاهرة — اطلب الاغـاني (الطبعة الجديدة بدار الكتب المصرية) ٤ : ١٣٥ ، الحاشية ٣ ؛ ومحمد العنـاني : الكتاب المذكور ٧–٨ ؛ وفي المُنتَظَم ان حسان واباه وجده وابا جده عاش كل منهم ١٠٤ سنوات ؛ ذكره H. Lammens, *op. cit.*, p. 213

٣) الاغاني ١٥ : ٣٠ ٤) الاغاني ١٤ : ٨

٥) وهي الرواية التي مال اليها نولدكه فجعل وفاة حسان حول السنة ٦٦٠ (امراء غسان من آل جفنة ، ترجمة جوزي وزريق ، بيروت ١٩٣٣ ، ص ٤٥)

٦) الاغاني ١٤ : ٧ ٧) اطلب ديوان حسّان (طبعة Hirschfeld وهي التي نعتمدها في المآخذ) ص ٢٨ ، والمنتخبات : الباب الخامس.

٨) نولدكه : الكتاب المذكور ، ص ٤٥

من الجيل التالي جيل زهير والنابغة ، كما يُستنتج من الروايات التي تجعل شاعرنا بحضرة حَكَم عُكاظ ، وتجعل هذا يخاطبه بيا « ابن اخي »[1] .

مآتيه قبل الاسلام

اسمه – قومه

حسان بن ثابت، بن المنذر، بن حرام . . . ابن النجّار ، من الخزرج ، وأمه الفُريعة ابنة خالد بن قيس ، من الخزرج ايضاً . يكنّى ابا الوليد ، ثم ابا الحُسام لمناضلته عن النبي ، وابا عبد الرحمن . وُلد في يثرب وترعرع فيها . وكان ابوه من وجهائها[2] . فنشأ حسان حضرياً ، وقد يتصل بالبدو .

الخزرج والاوس : حسان وقيس بن الخطيم

وكان بين قومه الخزرج والاوس منافسات ومشاحنات قديمة تقوى احياناً فتتجاوز المفاخر والشتائم ، الى قذف الحجارة والمضاربة بالسعف والخشب . فيستغل ذلك الشعراء ويحوّلون تلك المشاهد البسيطة الى معارك هائلة تتلاعب فيها السيوف وتجري الدماء[3] . وكان حسان في طليعة شعراء الخزرج ، وقيس بن الخطيم في طليعة شعراء الاوس ، فلزمهما ان يتهاجيا[4] وان ينشرا مثالب القومين ، وان يذكر كل منهما حرم الآخر . فكان حسان يذكر ليلى بنت الخطيم، اخت قيس، وكان قيس يذكر عمرة بنت صامت، امرأة حسان[6]، وقد طلقها الشاعر في ما بعد[5] . وكان لكل

١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء (de Goeje) ١٩٨ ؛ الاغاني ٨ : ١٩٤–١٩٥ ؛ ٩ : ١٦٣

٢) محمد بن سلّام الجمحي : طبقات الشعراء (Hell) ص ٥٣

٣) الاغاني ٢ : ١٦٣

٤) اطلب المنتخبات : الابيات ٣٦–٥٥

٥) الاغاني ٢ : ١٦٦

من [illegible] هب في الشعر، ومريدون من الشعراء يعينونه[1]. وقد ذكر صاحب الاغاني ان حسان اسمعان [illegible] ، ففضت[2].
وطـالت تلك المنافسات ، فكان الشاعران يتنازعان النصر بين يدي النابغة[3] ، ويتنافسان حتى في شرب الخمر ايام المهادنة[4]. وكان القومان يتنازعان الاسبقية في المآتي حتى بعد اسلامهما[5].

عند الغساسنة

اتصل حسان بامراء الغساسنة اتصالًا وثيقاً. فكان يفـد عليهم في جِلّق[6] ، وجاسم ، وبصرى ، وجابيـة الجولان ، ومعان ، والقُريّات[7] ، وغيرها . فيمدح امراءهم ، مفتخرًا بالقرابة بينهم وبين قبيلته ، ناشراً مآثرهم ، معظماً مآتيهم ، واصفاً غزواتهم وممتلكاتهم ، حتى اصبح شعره من المصادر لتأريخ دولة الغساسنة ، كما اصبح، في ما بعد، من المصادر لتـأريخ صدر الاسلام . اما الامراء الذين مدحهم حسان فأشهرهم عمرو الرابع ابن الحرث السادس (٥٨٧ — ٥٩٧ ؟) ، واخوه النعمان السادس

---

١) راجع الروائع ٣٢ [كعب بن زهير] ص : ك وكا
٢) الاغاني ٢ : ١٦٣ ٣) الاغاني ٢ : ١٦٣
٤) الاغاني ٦ : ١٠٠ ٥) ابن هشام : ك . م . ، ص ٧١٤ .
٦) جِلِّق غير دمشق خلافاً لوهم الكثيرين من متأخري شعراء العرب وجغرافييهم . راجع لامنس : دمشق واسباؤها القديمة (المشرق ٣ [١٩٠٠] ٦٥٨) . وقد كتب نولدكه سنة ١٨٨٧ ان «لا سبيل اليوم الى تحديد هذا الموضع بالضبط» (كتابه المذكور ص ٥١) ، اما الاب لامنس فيميل الى جعل جِلِّق في حوران الجنوبيـة ، موضع جِلِّين الحالية H. Lammens, *Djillik* [Encyclop. de l'Islâm I, 1074]
٧) اطلب المنتخبات ، الابيات ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٢٨ ، ١٥١— ١٥٤، وفيها ذكر غير ما تقدم من منازل الغساسنة .

و

المعروف بابي كرب وابي حُجر (٥٩٧ ـــ ٦٠٠ ؟) ، وجـ[illegible]
ولاسيما جبلة بن الأ[illegible] من افراد ذاك البيت. وتذكر
[illegible] الادب ان حسان اجتمع ، في بلاط عمرو بن الحـارث ، بالنابغة الذبياني وعلقمة الفحل[1] ، وهمـا من مدّاحي الغساسنة[2] ، فتباروا في مدح الامير. وهنالك رواية تجعل الاجتماع نفسه في بلاط جبلة بن الايهم[3] ، ولكنها بعيدة عن الاحتمال ، لان من المستبعَد ان يكون النابغة وعلقمة ادركا جبلة بن الايهم اميراً[4]. وقد اكرم الغساسنة حسان ، فاغدقوا عليه العطايا ، وجعلوا له مرتباً سنوياً[1]. فعرف الشاعر لهم ذلك ، وظل يذكر نعمتهم حتى بعد اسلامه ، بل حتى اواخر حياته ، متأسفاً على ايام طيبة قضاها في بلاط الغساسنة « في الزمـان الاول »[5]. ولابأس ان نشير هنا الى ما تتناقله كتب الادب عن الاغاني[6] بشأن حسان وجبلة بن الايهم ، وكيف سأل هـذا رسول معاوية الى الروم ، وقيل رسول عمر ، عن حسان فاجابه انه « شيخ كبير قد عمي » فارسل اليه بالف دينار ، وقيل بخمسمائة دينار واكسية. وكيف قابل الرسول حسان فادّى الامانة وقال : قال جبلة : « ان وجدته حيًا فادفعه اليه وان وجدته ميتاً فاطرح الثياب على قبره ، وابتع بهـذه الدنانير بدناً فانحرها على قبره. » فقال حسان : « ليتك وجدتني ميتاً ففعلت ذلك بي ! ». وينسب الرواة الى حسان اربعة

---

١) الاغاني ١٤ : ٢ ٢) راجع الروائع ٣٠ [النابغة] ص : يد
٣) الاغاني ١٤ : ٢
٤) راجع نولدكه : ك. م. ص ٤١ ، ح ١١٠ – وهو يشك حتى في صحة الرواية الاولى.
٥) الاغاني ١٦ : ١٥ – ١٦ ؛ والمنتخبات : البيت ١٢٧
٦) الاغاني ١٤ : ٧ – ٨

ابيات يقولها في هذه الحادثة. على انها لم تذكر في ديوانه[1].

عند النعمان

اتصل حسان ايضاً بالنعمان الثالث ابي قابوس ابن المنذر الرابع ، مدة غياب النابغة عن الحيرة ، كما ذكرنا[2]. فمدحه ، ولقي عنده حظوة، حتى عاد النـابغة فاعتذر الى اميره ورضي عنه النعمان. فشعر حسان بان لم يبقَ له نصيب في ذاك البلاط، فانسل، بعد ان حسد النابغة على ثلاث، كما يقول، «لا يدري على ايتهن كان له اشد حسداً: على ادناء النعمان له بعد المباعدة ومسامرته له واصغائه اليه ، ام على جودة شعره ، ام على مائة بعير من عصافيره امر له بها.»[3] وفي ديوان حسان اشارات الى انه وفد على « ابن سلمى » وشفع لديه في بعض قومه فاطلقهم. وفي شرح الديوان ان ابن سلمى المذكور ثلاثاً هو النعمان بن المنذر اللخمي[4].

---

١) ذكرها صاحب الاغاني ١٤ : ٧ ، ومحمد العنّاني في طبعته لديوان حسان، ص ٢٢١ وهي :

ان ابن جفنة من بقية معشرٍ   لم يغـذُهم آباؤهم باللومِ
لم ينسَني بالشام اذ هو ربّها   كلّا ، ولا متنصراً بالروم
يعطي الجزيل،ولا يراه عنده   الا كبعض عطيّة المذموم
واتيته يوماً فقرَّب مجلسي   وسقى فروَّاني من الخُرطوم

٢) اطلب الروائع ٣٠ [النابغة] ص: يد

٣) الاغاني ٩ : ١٧٣ ؛ ابن قتيبة : الكتاب المذكور ، ص ٧١–٧٥

٤) المنتخبات : البيت ٦٣ ؛ الديوان ص ٣ ، ٦، ٩ وص 25، 17، 13 — اما نولدكه فلا يرى ان ابن سلمى هـذا هو النعمان بن المنذر ، بل قد يظنه من الغساسنة او « اي شيخ آخر من شيوخ العرب » (ك . م . ص ٤٧) واما نحن فلا نرى رأيه .

ح

في الاسلام

الهجاء المتصل : شاعر النبي

اسلم حسان وقومه الخزرج على اثر الهجرة . وكان النبي ، اذ ذاك ، اشد ما يكون حاجةً الى المساعدين ، فنصره اليثربيون بمالهم ورجالهم على قريش وغيرهم من العرب ، فسمّوا « الانصار ». فبقي ان يُنصر على من كان يهجوه من شعراء قريش وسائر المشركين . ولما لم يكن بحسان رغبة في خوض المعارك ، وجُبن حسان مشهور كما سنرى ، مال الى نصرة النبي بلسانه . ودفعه الى ذلك ايضاً تلك المنافسات القديمة بين مكة ويثرب ، وبالتالي بغض قومه للقرشيين ، وحقدهم على المهاجرين تضييقَهم يثرب عليهم[١] ، على رغم تلك « المؤاخاة » التي جعلها النبي بين المهاجرين والانصار[٢] . فصمد هو وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، لشعراء قريش ، واشهرهم عبدالله بن الزِبَعرى ، وابو سفيان بن الحرث ، وعمرو بن العاصي . فكان هؤلاء لا يقولون الهجاء في محمد ودينه الجديد الا نقضه شعراء النبي ، على اختلاف في الاسلوب اشار اليه محمد بن سيرين ، فقال : « كان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والايام والمآثر ويعيرانهم بالمثالب . وكان عبدالله بن رواحة يعيرهم بالكفر . فكان في ذلك الزمان اشد القول عليهم قول حسان وكعب ، واهون القول عليهم قول ابن رواحة . فلما اسلموا وفقهوا الاسلام كان اشد القول عليهم قول ابن رواحة . »[٣] على ان حسان عيّرهم بالكفر احياناً كما يُستدلّ من ديوانه[٤] .

---

١) الاغاني ٤ : ١١ ، ١٢ ٢) ابن هشام : ك . م . ٣٤٤ وما يليها .

٣) الاغاني ٤ : ٤ ؛ ١٥ : ٢٩

٤) الديوان ، ص ١٨ — ويعيّرهم ايضاً بالتجارة ، الاغاني ١٤ : ١٨ ؛ وابن

اما مثالبهم وفضائحهم فكان يستمدّها من ابي بكر، بنصيحة النبي، فانه قال لحسان، عندما تطوّع للدفاع عنه : « اذهب الى ابي بكر فليحدثك حديث القوم وايامهم واحسابهم، ثم اهجهم وجبريل معك. »[1] وفي رواية اخرى : « وروح القدس لا يزال يؤيدك »[2] . فاخرج حسان لسانه الطويل الاسود، وهو معجب بسلاطته وبذاءته، وسلّ النبي من بني قريش كما تُسلّ الشعرة من العجين[3]، وهبط يلغ في اعراض القرشيين، لا يكاد يترك لهم أُنثى ولا ذكرًا[4]، بفحش لم نعهده في الجاهلية، واقذاع تجاوز به كل حدّ، حتى ان ابن هشام تحرّج من ذكر بعض ابياته[5] . اما نصيب ابي بكر في هذه الشتائم فمعروف بقول قريش لما أُنشِدَتها : « ان هـذا الشتم ما غاب عنه ابن ابي قُحافة. »[6] واما نصيب الروح القدس وجبريل فلا نعرفه.

كرامات حسان

على ان قول النبي المتقدّم كوّن جول حسان هالة من الاحترام وصلت الى نوع من الولاية خُصّ ببعض الكرامات، فجعله ابن هشام يسمع بطلوع نجم النبي ساعة ولادته، وهو في يثرب، وعمره سبع سنوات او ثمان[7]، وروى بعض المحدثين ان جبريل اعانه في مديح النبي بسبعين بيتاً[8]،

هشام ك. م. : ٥٧٠

١) الاغاني ٤ : ٤
٢) الاغاني ٤ : ٦
٣) الاغاني ٤ : ٤ و١٥
٤) اطلب المنتخبات : البيت ٣٠٠
٥) ابن هشام : ك. م. الصفحات ٥٢٣ : ترك ثلاثة ابيات « لانه اقذع فيها»، ٥٢٤، ٥٧٣ : ترك « بيتين اقذع فيهما »، ٥٨٣ : « ترك ابياتًا في هنـد لانه اقذع فيها »، ٦٤٤ الخ.
٦) الاغاني ٤ : ٥
٧) ابن هشام : ك. م. ١٠٢
٨) الاغاني ٤ : ٦

وتجاوز بعضهم ، في هذه الكرامات ، الى النبوّة ، فجعلوه يخبر بوقعة صفّين قبل وقوعها[١] !

خدمة حسان للاسلام

ومهما يكن من امر، فان حسان ادّى للاسلام خدمة جليلة بمناضلته عن صاحبه، وبمدح مآتيه، وتعظيم غزواته الموفّقة والافتخار بها، وبالتخفيف من تأثير الانكسارات كتلطفه في ذكر هزيمة أُحد حتى كاد يخرجها مخرج الفخر ، وكذلك بافحامه شاعر تميم ، وبالتالي ، بعمله على اسلام هذه القبيلة[٢] ، وبما شابه من المآتي العديدة . وقد عرف له النبي هذه الخدمات، فقرّظ شعره كثيراً[٣]، وعطف عليه ، وتجاوز عن بعض سيئاته[٤]، حتى انه تناسى موقف الشاعر من عائشة في حادثتها المشهورة ، وخلاصتها ان عائشة رُميت بصفوان بن المُعطّل السُلَمي ؛ وكثر اللغط في ذلك . وكان حسان من جملة من اطالوا السنتهم في زوج النبي[٥] ، « فافصح بالفاحشة»[٦]، وهجا صفوان ، وعرّض بالقرشيين[٧] . فاعترضه صفوان وضربه بالسيف فجرحه . فهاج قومه من الانصار ، وقبضوا على صفوان . وكاد الامر يستفحل لولا ان تدخّل النبي، فاستوهب حسان جرحه ، فرضي . واعطاه النبي مقابل ذلك «حائطاً» ، اي بستاناً ، اسمه بيرحاء ، اشتراه منه

١) الاغاني ٤ : ١٠–١١
٢) ابن هشام : ك . م . ٩٣٦ ؛ الاغاني ٤ : ٨–١٠
٣) الاغاني ١١ : ٨٠ ٤) الاغاني ١٠ : ١٦٩
٥) وكان منهم علي بن ابي طالب ، فاشار على النبي ان يُطلق عائشة قائلاً : «يَرسول الله، ان النساء لكثير، وانك لقادر على ان تستخلف .» (ابن هشام: ك . م . ٧٣٤) فكان موقفه هذا من مسبّبات تلك العداوة الشديدة بينه وبين عائشة .
٦) ابن هشام : ك . م . ٧٣٦ ٧) اطلب المنتخبات : الابيات ١٨٢–١٩١

معاوية بعد ذلك[١]، وهو غير أُطمه المعروف « بفارع » في المدينة. واعطاه النبي سيرين، الأَمة القبطية، فولدت له ابنه عبد الرحمن[٢]. ثم ان حسان اعتذر الى عائشة بابيات مدحية[٣]، فرضيت عنه ظاهراً. الا انها ظلّت حاقدة عليه، كما يُستنتج من حادثة ذكرها ابن هشام[٤].

بعد وفاة النبي

لا نعرف الشيء الكثير عن مآتي حسان بعد وفاة النبي، الا ما يُستنتج من ديوانه من اهتمامه بشؤون الانصار كافةً في تلك المنازعات التي كانت تهدأ وتثور بينهم وبين المهاجرين في سبيل السلطة الزمنية والدينية. وقد كان على رأس المهاجرين ابو بكر وعمر خاصة، مستندَين الى عائشة[٥]. فلا عجب ان يكون حسان منصرفاً عن هذا الحزب، ولا عجب ان ينتهره عمر، وهو ينشد الشعر في المسجد، فيأخذ باذنه ويقول: « أرُغاء كرغاء البعير! » فيجيبه حسان: « دعنا عنك يا عمر! فوالله، لتعلم اني كنت أُنشد في هذا المسجد من هو خيرٌ منك... »[٦]. ولا عجب ان يُحب شاعرنا عثمان، وهو خارج عن الحزب المذكور ومتصل باخيه أوس بفضل تلك المؤاخاة[٧]، فيندبه طويلاً، ويحضّ قومه على الاخذ بثأره، مصرّحاً باتهام علي بن ابي

١) الاغاني ٤: ١١ ٢) اطلب تفاصيل ذلك في ابن هشام: ك. م. ٧٣١ – ٧٤٠، والاغاني ٤: ١١ – ١٣

٣) في الديوان، ص ٦٣ ٤) ابن هشام: ك. م. ٧٣٩

٥) راجع في هذه الحركة H. Lammens, *Le triumvirat Abou Bakr, ʿOmar et Abou ʿObaida* [M. F. O. IV, 113-144]

٦) الاغاني ٤: ٦ – ٧

٧) « آخى النبي بين عثمان بن عفّان وأوس بن ثابت اخي حسان » (ابن هشام: ك. م. ٣٤٥)

طالب[1] . ثم يقدم على علي في جماعة من وجهاء الانصار كالنعمان بن بشير وكعب بن مـــالك ، فيجادلونه في مقتل عثمان ، ويتركونه منتقلين الى معاوية[2] . فيكرم معاوية وفادتهم ، ويعطي كلاً من حسان وكعب الف دينار ، ويولي النعمان حمص ثم الكوفة[3] . ويتابع انعامه على حسان فيشتري منه حائطه بيرحاء بثمن غالٍ ، ثم يشتري منه ارضاً ثانية بثمن باهظٍ كذلك[4] .

الا ان هذا لم يمنعه ان يرثي ابا بكر باربعة ابيات[5] ، وعمر بثلاثة[6] . ولم يمنعه كذلك من ان يهدّد معاوية بثورة الانصار[7] . ولعلَّ موقفه هذا جرّ عليه ، وعلى النعمان بن بشير ، وعلى الانصار جميعاً ، تلك الاهاجي المرَّة التي نجدها في ديوان الاخطل[8] .

آخر ايامه — وفاته

تتفق المصادر التاريخية والادبية على القول ان حسان كُفَّ بصره في آخر عمره ، وضعف جسمه . ولكن يُستنتج من بعضها[9] انه كان اعمى على

١) الديوان ٢٨-٢٩ ، ٦٨-٦٩ ، ٧١ ؛ والمنتخبات : اول الباب الخامس .

٢) « كانوا عثمانية يقدّمون بني أُمية على بني هاشم ، ويقولون : الشام خيرٌ من المدينة » ، (الاغاني ١٥ : ٣٠) . ولعل هذا ما دفع اهل المدينة الى تسمية حسان « باللعين » ، فقال احدهم لابن عباس : « قد جاء اللعين حسان من الشام » (الاغاني ٤ : ٧) .

٣) الاغاني ١٥ : ٣٠ ؛ والديوان ، ص 77

٤) اطلب H. Lammens, *Etudes sur le règne du calife omaiyade Mo'âwia Ier*, p. 246

٥) الديوان ٢٩

٦) الديوان ٥٩

٧) الديوان ٥٤

٨) ديوان الاخطل (صالحاني) ٣١٣ ، ٣١٤

٩) الاغاني ١٤ : ٧

عهد عُمر ، وهو ليس بثبت . ومهما يكن من امر فان حماه وشيخوخته لم يمنعاه قول الشعر الحماسي المؤثر ، كما يتضح من شرح الديوان[1] . وظل يعيش في المدينة حتى وفاته في خلافة معاوية ، على الارجح ، كما قدّمنا ؟[2]

ابناؤه

لم ينقطع نسل حسان بوفاته ، كما يُستنتج من اقوال بعض الادباء . واننا نعرف من وُلده عبد الرحمن بن حسان ، وهو شاعر مذكور تهاجى والنجاشي في حياة ابيه[3] ، ثم تهاجى وعبد الرحمن بن الحكم[4] . وكذلك نبغ من نسل شاعرنا حفيده سعيد بن عبد الرحمن ، قال الشعر ووفد على خلفاء بني أمية . ولكن « لم تكن له نباهة ابيه وجدّه » ، على قول الاغاني[5] . وكان لحسّان ابنة شاعرة ذكرها ابن قتيبة[6] . وابنة اخرى توفيت في حياته فرثاها[7] .

صفاته واخلاقه

يبدو حسان متأنقاً في مظهره ، يستعمل الخضاب ويتعمّل في استعماله فلا يخضب الا شاربيه وعنفقتَه ، اي الشعرات التي تحت شفته السفلى ،

---

١) الديوان ص، 77-76

٢) يطلق اهل حماه اسم حسان بن ثابت على قبر قديم في جامع صغير مهجور، قائم على كتف العاصي ، في حي باب الجسر . (راجع احمد ابراهيم الصابوني : تاريخ حماه ، مطبعة حماه ، ١٣٣٢ هـ ، ص ١٦٣) — وقد اتانا من حماه ان الناس يتناقلون ذلك بالتواتر ، وليس على القبر من كتابة او اثر ، كما انه ليس في التاريخ من مستند لهذا الزعم .

٣) الديوان 77-76

٤) الاغاني ١٣ : ١٥

٥) الاغاني ٧ : ١٦٤

٦) ابن قتيبة : ك . م . ١٧٣

٧) الديوان ، ص ٥٠

دون سائر لحيته. حتى يستغرب ابنه عبد الرحمن فيقول: يا ابت، لِمَ تفعل هذا؟ فيجيبه: «لأكون كأني اسدٌ والغ في دم!»[1]

على ان حسان كان باستطاعته ان يتمنى هذا الشبه، ما دام لا يرى الدم ولا يشهد المعارك. اما اذا سمع بالحرب، فانه كان يهرب فيختبئ داخل أُطمه «فارع» مع النساء والصبيان، يخاف ان يخرج حتى لسلب رجل مقتول[2]. وكان اذا شاهد، عن بعدٍ، اصحاب النبي يحملون على المشركين حمل هو على وتد مركوز في ارضه فضربه بالسيف؛ واذا اقبل المشركون انحاز عن الوتد، «كانه يرى انه مُجاهد» على قول ابن الزبير[3]. ولم يمنعه جبنه هذا من الافتخار بشجاعته في الجاهلية وفي الاسلام كما يتحقق مطالع ديوانه. على ان العارفين به كانوا يبتسمون، بل يضحكون، اذا انشد شعره في ذلك[4].

ومن صفات حسان ادمانه على الخمرة، واستمتاعه بالغناء وما يتصل بذلك من لهوٍ وعبث. وله في الجاهلية مواقف مع الاعشى الاكبر لا تعدو في شيء اطوار المدمنين، ولا بأس بذكر ما روى صاحب الاغاني من انهما دخلا بيت خمار بالشام فاشتريا خمرًا وشربا. فنام حسان ثم انتبه، فسمع الاعشى يقول للخمار: كره الشيخُ الغُرم! فتركه حسان حتى نام ثم اشترى خمر الخمار كلها، ثم سكبها في البيت حتى سالت تحت الاعشى، فعلم انه سمع كلامه فاعتذر اليه[4]. واوصافه للخمر شهيرة في غسانياته. ولم يحوّله الاسلام عن هذه العادة. فهو يتابع الشرب واللهو والسماع كمن

---

١) الاغاني ٤: ٣ ٢) ابن هشام: ك. م. ٦٨٠؛ الاغاني ٤: ١٥
٣) الاغاني ٤: ١٥ ٤) الاغاني ٤: ١٦

ذي قبل ، ويصف الخمرة حتى في مدائحه للنبي[١] ؛ ويسمع الغناء حتى بحضر النبي ، على قول ابن عباس[٢] ؛ ويتأسف ، حتى في آخر حياته ، على مجالس اللهو والسرور في بلاط ابناء جفنة[٣] .

ومن اخلاقه الفطرية سرعة الغضب ، وشدّة التأثر ، حتى كأن اعصابه منتشرة بظاهر جلده[٤] . بيد ان هذا التأثر كان سطحياً على الغالب ، بدليل ان الاسلام ، على تعلّق الشاعر به ، لم يمتزج بحياته ، وان صبغ بعض اعماله الخارجية . وهي ظاهرة تبدو جلياً في شعره خاصة .

شاعريته

الديوان

طبعاته

ديوان حسان معروف مشهور ، رواه ابوسعيد السكري عن ابن حبيب . وتعدّدت طبعاته منـــذ اواسط القرن التاسع عشر . فكان منها طبعة تونس سنة ١٨٦٤ ، وطبعة بومباي سنة ١٨٦٥ ، وطبعة لاهور سنة ١٨٧٨ ، وطبعة مصر الاولى سنة ١٩٠٤ بعناية محمد شكري المكي ، والثانية مع شرح لمحمد العنّاني سنة ١٩١٣ . وافضل طبعاته طبعة هرشفيلد في مجموعة جيب التذكارية ، لندن ١٩١٠[٥] ، وان تكن لا تزال بحاجة الى

١) الديوان في محلات كثيرة ؛ والمنتخبات : الابيات ٨٢–٨٧ .
٢) ابن الاثير : اسد الغابة ٥ : ٤٩٦ ؛ الاغاني ١٠ : ١٦٩
٣) الاغاني ١٦ : ١٦ ؛ وفي كثير من ابيات حسان المتفرقة .
٤) الديوان 77-76 ؛ الاغاني ٤ : ٥
٥) Hartwig Hirschfeld, *The Dīwān of Ḥassān B. Thābit*, [E. J. W. Gibb. Memorial Series, vol. XIII], London, 1910.

مزيد تدقيق في الفهارس خاصة . قدّم عليها الناشر بحثاً في المخطوطات التي بنى عليها طبعته ، وفي صحة نسبة الديوان ، وعلاقة قصائده بالقرآن والشعر المعاصر ، وصفة شعر حسان . وقد استندنا في المنتخبات الى هذه الطبعة خاصة ، مع الرجوع الى الطبعات السابقة الذكر .

محتوياته

في الديوان ٢٢٩ قصيدة ومقطوعة ، اغلبها هجائية تتناول المشركين من قريش وغيرهم ، وبعض القبائل اليهودية ، فتصطبغ بصبغة دينية ؛ وقد تتناول من كان يهاجي حسان من الشعراء دون صبغة خاصة . واكثرها ، على الحالين ، تتصل بالفحش والاقذاع اتصالاً قوياً . وما تبقّى ففيه الفخر الكثير بالانصار ، ومدح النبي والاسلام ، ومدح الغساسنة ، ووصف مجالس اللهو والخمريات ، وشيء من الغزل . وقد اجتهدنا في تمثيل هذه الانواع على قدر الامكان .

صحة نسبته

وهنا الصعوبة الكبرى . كم هي المقاطع الثابتة لحسان في هذا الديوان الكبير ، وما هي ؟ وما هي الابيات ، بل القصائد ، المنحولة منذ صدر الاسلام ؟ لا شك انها كثيرة قديمة ، بدليل قول ابن سلّام († ٨٤٥) في النصف الاول من القرن التاسع : « وقد حُمل عليه ما لم يُحمل على احد لما تعاضهت قريش واستبّت وضعوا عليه اشعاراً لا تليق به »[1] ، وبدليل ان ابن هشام اراد ان يتلافى تأثير النحل في شواهد ابن اسحق ، سلفه في تأليف سيرة الرسول ، فذكر « انكار اهل العلم بالشعر » لبعض

١) محمد بن سلّام الجُمحي : الكتاب المذكور ، ص ٥٢

ابيات حسان[١]. على ان ثقة ابن سلّام ضعيفة بكل ما يورده ابن اسحق في « سيرته » من الشواهد الشعرية ، وقد قال في الكلام على ابي سفيان ابن الحرث ، وهو من الشعراء الذين كانوا يهجون حسان والمسلمين ، وقد أتلف شعره وشعر امثاله في الاسلام : « ولابي سفيان بن الحرث شعر كان يقوله في الجاهلية ، فسقط ولم يصل الينا منه الا القليل. ولسنا نعدّ ما يروي ابن اسحق له ، ولا لغيره ، شعرًا. ولأن لا يكون لهم شعر احسن من ان يكون ذلك لهم.»[٢] ولا شك في ان اكثر المقطوعات المنسوبة الى حسان ، عن طريق ابن اسحق ، ضعيفة بادٍ فيها العمل والتكلف. ولقد يطول بنا المجال اذا عدّدناها ، لاسيا وقد تجنبنا اكثرها في المنتخبات[٣].

قيمته

لحسان قيمة مزدوجة : ادبية ، وتاريخية.

اما من حيث الادب فلا يتجاوز مستوى معاصريه من شعراء صدر الاسلام ككعب بن زهير ، والنابغة الجعدي ، وقيس بن الخطيم[٤] ، والخنساء ؛ بل قد لا يرتفع الى مستوى الخنساء في العاطفيات ، وان يكن النابغة جعله شاعرًا وجعلها بكّاءةً في رواية[٥] لا تعدو ان تكون موضوعة للردّ على تلك الحكاية المشهورة التي تجعل النابغة

١) ابن هشام : ك. م. الصفحات ٥٤٩ ، ٦٢١ ، ٦٣٨ ، ٦٤٤ ، ٦٤٨ ، ٧١٠
٢) ابن سلّام : الكتاب المذكور ، ص ٦١
٣) من المفيد ان يُراجع Hirschfeld. *op. cit.*, Introduction, p. 2
٤) جعله ابن سلّام (ك. م. ٥٢) ، في طبقة واحدة هو وكعب ابن مالك ، وعبدالله بن رواحة، وقيس بن الخطيم، وابو قيس بن الاسلت. ٥) الاغاني ٤ : ١٦

نفسه يحكم للخنساء على حسان . ومهما يكن من امر فان عاطفة حسان سطحية لا يمدّها الكثير من قوّة الخيال . ولهذا قصر نفَسُه في الكثرة العظيمة من قصائده ، واخذ يفتش عن تخلصات وانتقالات تراها تافهة وافرة التكلف ، اذا ما عرضناها على انتقالات الاعشى او زهير او النابغة . فصاحبنا ابعد من ان يلحق بهم على كل حال . واين هو من تلك الاوصاف الدقيقة ، والاستدارات الفسيحة ، بل اين هو من ذاك السبك المتين ، والتعبير الشخصي الموجز ! ولا عجب فانما هو من شعراء القرى ، ومن المعلوم ان هؤلاء اوفر رخاءً في حياتهم من شعراء البدو ، وبالتالي اضعف ضبطاً واقل قوّةً ومتانةً في التعبير[1] . بيد ان حسان يمتاز بصفتين لا بأس بهما : قوة التذكار ، وسرعة التأثر . اما قوّة التذكار فمدّته خاصة في غسانياته التي جرى فيها على اساليب الاقدمين ، فارتفع الى درجة لم يصل اليها في الاسلام ، حتى قال الاصمعي : « شعر حسان في الجاهلية من اجود الشعر ، فقُطع متنه في الاسلام . »[2] وما ذاك الا لان حسان انصرف ، في اسلامياته ، الى التدقيق الموضوعي بذكر الغزوات واربابها ، والى الرد على مناوئي الاسلام بتسمية الاشخاص ، ففاتته تلك الصبغة التذكارية . على انه استعاض عنها ، في هجائه ، بسرعة التأثر . وهي الصفة الثانية التي خدمته ، فجعلت لشعره الهجائي تلك اللذعة المؤلمة ، وذاك الاندفاع القوي العنيف حتى ليحسّ المطالع بصدر الشاعر يفور كالمرجل فتتطاير حممه ، ويتدفق رشاشه ، ويقذف لسانه بالشتائم المقذعة لا يبالي ولا يتحرّج في

١) وان يكن شعرهم اقرب الى الذوق الاروبي من شعر البدو ، على قول T. H. Weir. *op. cit.* [Encyclop. de l'Islâm II, 306]

٢) ابن قتيبة : ك . م . ١٧٠

ذكر شيء. حتى اذا افرغ جرابه في الابيات القليلة، سكن سريعاً كما هاج سريعاً. وهو في كل ذلك لا يتمهلّ، ولا يصبر، وليس باستطاعته الصبر والتمهل. انما هي بوادر يقذفها كما هي، دون صقل ولا تنقيح ولا ترتيب[1]، فتأتي طبعاً دون الشعر الجاهلي المحكّك المنقّح، بل دون شعر الحطيئة وكعب وغيرهما من « عبيد الشعر ». فلا تروق الاصمعي بالطبع، وتنحط حتى شعر حسان المنظوم في الجاهلية على اساليب الاقدمين.

وليس من شك في ان سرعة التأثر هذه، وعدم التمهل في استيعاب الموضوعات وتتبع دقائق المعنى، حالت بين شاعرنا والاضطلاع بالدين الجديد اضطلاعاً كافياً. ففاته استخدام الكثير من المعاني الجديدة والتصرف فيها على طريقة كانت حقيقةً بان تجعله مثالاً للشعراء الدينيين. وقد لا نبالغ اذا قلنا ان تأثير القرآن قليل في شعر حسان؛ وهو، على قلّته، لا يكاد يتجاوز المبنى؛ كما ان تأثيره في حياة حسان لا يتجاوز بعض المظاهر الخارجية.

على ان شاعرنا اكتفى بهذا التأثر السطحي بضاعةً جديدة شقّت له اسلوباً طريفاً في الشعر العربي، فكان مؤسس الشعر التاريخي الاسلامي. وهنا قيمته الثانية. حفظ لنا اسماء المعارك العديدة بين المسلمين والمشركين، وذكر اسماء الصحابة واسماء اعداء الاسلام: مَن قُتل منهم ومن انتصر، مَن اظهر الشجاعة والصبر ومن لاذ بالفرار. فكان اشبه بشاعر الدولة الرسمي يؤرّخ ويحصي، يقوم بالدعاية ويناضل. فقرن الشعر بالتاريخ وجمع بين الدين والسياسة. وهو، في هذا العصر الجديد، لم ينسَ قومه الادنَين،

---

١) عيب على حسان كثير من تلك الهفوات البادرة عن سرعة واندفاع (المرزباني: المُوشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، القاهرة ١٣٤٣، ص ٥٨، ٦٠–٦٣)

كما انه لم ينسهم في الجاهلية ، فأرّخ نصيبهم من تلك الحركات العامة ، وناضل عنهم وسط ذاك العراك المستديم. فحق لهم خاصة ان يفتخروا به حتى ليعجّز احـدهم الفرزدق في النسج على منواله[1] ؛ وحق للصحابة عامّة ان يحترموا شاعريته فيستفتيه عمر في هجاء الحطيئة للزبرقان بن بدر[2] ، وفي هجاء النجاشي لبني العجلان[3] ؛ وحق للمسلمين اجمعين ان يتناقلوا شعره جيلاً فجيلاً في موضوع ضمن له الخلود ؛ وحق للنقـاد المنصفين ان يقولوا : « ان حسان اشعر اهل المدر ! »[4]

مآخذ

راجع اجمالاً ما ذكرناه في مآخذ الشعر الجاهلي (الروائع ٢ : ٤٢)،وما ذكرناه في طبعات الديوان ؛ وخصوصاً ما يلي :

ابن هشام : سيرة الرسول (طبعة Wüstenfeld) گوتنگن ١٨٥٩ — ١٨٦٠

محمد بن سلّام الجمحي : طبقات الشعراء (طبعة Hell) ليدن ١٩١٣ — ١٩١٦

ابن قتيبة : الشعر والشعراء (طبعة de Goeje) ليدن ١٩٠٢

ابو الفرج الاصبهاني : كتاب الاغاني ، بولاق ١٨٦٨ ، خصوصاً الجزء ٤ و١٤

Hartwig Hirschfeld, *The Dīwān of Ḥassān B. Thābit* [« E. J. W. Gibb Memorial » Seris, XIII] London 1910.

A. P. Caussin de Perceval, *Essai sur l'Histoire des Arabes*, Paris, 1847, t. II et III.

T. H. Weir, *Ḥassān B. Thābit* [Enc. de l'Islām, II, 306].

---

١) الاغاني ٨ : ١٩٢

٢) ابن سلّام : ك . م . ٣٥ ؛ ابن قتيبة : ك . م . ١٨٦ ؛ الاغاني ٢ : ٥٥

٣) ابن قتيبة : ك . م . ١٨٩

٤) الحكم لابي عُبيدة (الاغاني ٤ : ٣) والمدر : الطين ، المعنى : انه اشعر سكان القرى .

الباب الاول

المفاخر

فخر حسّان على قسمين: فخر في العصر الجاهلي يقوم خاصةً بذكر الشجاعة والكرم وجودة النسب وما الى ذلك من المفاخر التقليدية، وفخر في العصر الاسلامي يضيف فيه الى ما تقدّم ذكر الدين الجديد والرسول والدفاع عنه والرد على خصومه. وقد اجتهدنا في تمثيل القسم الاول خاصةً في هذا الباب، والقسم الثاني في الباب التالي الذي دعوناه الاسلاميات.

اما القصيدة التي ننشرها اولاً فشهيرة جرى فيها الشاعر على الاسلوب القديم من الاستهلال بسؤال الاطلال، فالغزل وذكر الفراق، فالتخلص الى الفخر. وهي التي يزعم مورخو الادب القدماء ان حسّان انشدها النابغة في سوق عكاظ.

ألم تسألِ الربعَ الجديد التكلُّما
بمدفع أشداخٍ، فبُرقة أظلما! [1]

أبى رسمُ دار الحيِّ أن يتكلّما؛
وهل ينطق المعروف من كان أبكما!

بقاعِ نقيعِ الجزعِ من بطن يَلْبَنٍ
تحمّل منـه اهله فتتهَّما؛ [2]

ديارٌ لشَعْثاء الفؤادِ، وتِربها،
ليـاليَ تحتلُّ المَراضَ فتغلَما؛ [3]

---

١) المدفع: مجرى السيل. أشداخ: موضع في عقيق المدينة، وهو واديها. برقة اظلم: موضع ذكره ياقوت استنادًا الى هذا البيت، ولم يحدّده.

٢) يَلْبَن: ذكر ياقوت انه جبل قرب المدينـة. ونقل عن ابن السكيت انه «قَلْت عظيم بالنقيع من حرّة سُليم على مرحلة من المدينة.» والقلت: النقرة في الحجر تمسك الماء. تتهّم: سار الى ارض تهامة.

٣) شعثاء: المرأة التي يشبّب بهـا. المَراض: موضع على طريق الحجاز من

واذ هي حوراء المدامع ، ترتعي
بمندفَــع الوادي أراكاً منظّما ، [١]

أقامت به بالصيف ، حتى بدا لها
نشاصٌ ، اذا هبّت له الريحُ ، ارزما ؛ [٢]

وقــد ألّ من اعضاده ، ودنا له
من الارض دانٍ جوزُه فتحمحما ؛ [٣]

تحنّ مطافيــلُ الرباعِ خلالَه ،
اذا استنّ في حافاته البرقُ ، أثجما ، [٤]

وكاد باكنافِ العقيق وئيــدُه
يحطُّ من الجمّاء ركناً ململما . [٥]

فلما علا تُربانَ ، فانهلّ ودقُه ،
تداعى ، والقى بَرْكَه ، وتهزّما ؛ [٦]

الكوفة . تَغْلم : موضع لم يُحدّد . وقد يردان بصيغة المثنى فيُقال : المرضان ، وتغلمان .

١) حوراء : التي في عينيها حَوَر : اشتداد بياض العــين ، وسواد سوادها . الاراك : شجر ترعاه الابل ، وتؤخذ منه المساويك . منظماً : متسقاً في نباته.

٢) النشاص : السحاب ينشأ في عرض السماء منتصباً . ارزم : ارعد .

٣) ألَّ : برق . ويروى : آلَ : عاد ورجع اي اجتمعت اعضاده : نواحيــه . جوزه : وسطه . تحمحم : صات ، ارعد . — يتابع وصف السحاب .

٤) المطافيل : الابل معها اولادها اطفالاً . الرباع : ج . رُبَع : ما نُتج في الربيع . شبه صوت الرعد في ذاك السحاب المتلبّد بحنين الابل الى اطفالها . استنّ : تردّد واضطرب . أثجم : سال .

٥) الوئيد : والوأد : الصوت العالي الشديد . الجمّاء : موضع عن يمين الخارج الى مكة من المدينة . الركن : الجانب الاقوى من الشيء ، ما يرتكز عليه . ململما : صلباً مدملكاً . — يصف صوت الرعد القوي .

٦) تُربان : موضع . الودق : المطر . البَرْك : الصدر ، وباطنه ، وما ولي الارض

واصبح منـــه كلُّ مدفعِ تَلعَةٍ
يكبُّ العِضاهَ سيلُه ما تصرَّما . [1]

تنادوا بليلٍ فاستقلّت حمولُهم ،
وعالينَ انماطَ الدِرَقلِ المُرَقّا ؛ [2]

عسجنَ باعناقِ الظباء ، وأبرزت
حواشي برودِ القِطرِ وشياً مُنمنما . [3]

فأنّى تُلاقيها ، اذا حــلَّ اهلها
بوادِ يمـــانٍ من غفارٍ واسلما ؟ [4]

تلاقٍ بعيدٌ واختلافٌ من النوى
تلاقيكُها ، حتى توافي موسما . [5]

سأهدي لها ، في كل عامٍ ، قصيدةً ،
واقعدُ مكفيًّا بيثربَ مكرَما .

ألستُ بنعمَ الجــارُ يولفُ بيته
لذي العُرف : ذال مالٍ كثيرٍ ومُعدِما ؟ [6]

من جلد صدر البعير . تهزّم : تشقّق بالماء ، اي الحّ بالمطر .
١) التَلمة : المسيل الى الوادي . العِضاه : شجر عالٍ ذو شوك . يكبّه : يقلبه .
٢) استقلّت حمولهم : رُفعت وحُملت . انمـاط : ج. نَمَط : ظهارة الفراش ، ضرب من البسط ، وعاء كالسفط ، وهو المقصود . الدِرَقل : نوع من الثياب .
٣) عسجنَ : مددنَ . وعسجنَ باعناق الظباء : مددنَ اعناقهنَّ في المشي كما تفعل الظباء . القِطر : ضرب من الثياب الحمر المنسوبة الى اليمن .
٤) تلاقيها : ضمير المفعول لشعثاء . غفـار واسلم : اي ارض غفار وهو من كنانة ، وارض اسلم وهو من خزاعة .
٥) تلاقيكها : خبر تلاقٍ .
٦) ينتقل في هذا البيت الى الفخر . يولف بيتَه : يجيئه ، يجهزه . ذا مال . . .

وندمانِ صدقٍ تَمطرُ الخيرَ كفُّه ،
اذا راح فيَّاض العشيَّات خِضرِما ، (١)
وصلتُ به ركني، ووافق شيمتي ؛
ولم أكُ عِضًا في الندامى ملوَّما . (٢)
٢٠ وأبقى لنا مرُّ الحروب ورُزؤها
سيوفاً، وادراعاً، وجمعاً عرمرما ،
اذا اغبرَّ آفاق السماء ، وأمحلت
كأنَّ عليها ثوبَ عَصبٍ مسهَّما ، (٣)
حسبَت قدورَ الصادِ، حول بيوتنا ،
قنابلَ دهماً في المحلّة صُيَّما ، (٤)
يظلُّ لديها الواغلون ، كأنما
يوافون بحرًا من سُمَيحَةَ مفعما . (٥)

ومُعدِما : حال ، يريد انه يقوم بالضيافة سواءٌ أكان غنياً ام فقيرًا .

١) راح : من الرواح : الرجوع بالعشيّ . الخِضْرِم : الجواد .

٢) العِض : السيء الخُلق ، المؤذي .

٣) ثوب عَصْب : عَصَب الافق : احمرَّ ، دليلَ الشدَّة او الجدب ، من العِصابة : نجم احمر يكون في الجدب . وقد يكون اصل المعنى من العَصْب : صبغٌ احمر ينبت نباته في اليمن . ومنه ثوب عَصْب اي مصبوغ به . المسهَّم : الثوب المخطَّط . — اي اذا اشتدَّت السنة ، وظهرت بوادر الجدب في الافق ، حسبتَ . . الخ .

٤) قدور الصاد : القدور الصفر من النحاس . القنابل : الجماعات من الخيل خاصة . صُيَّما : قائمة .

٥) لديها : الضمير للقدور . الواغلون : ج . الواغل : الذي يدخل على القوم فيأكل ويشرب . سُميحة : بئر بالمدينة غزيرة الماء .

لنـا حاضرٌ فَعمٌ ، وبادٍ كأنه
شماريخُ رَضوى عزّةً وتكرُّما . [1]

٢٥ متى ما تَزُنّا من مَعَدٍّ بعصبةٍ ،
وغسانَ ، نمنعْ حوضَنا أن يهدَّما ، [2]

بكلِّ فتىً عاري الاشاجعِ لاحه
قراعُ الكماةِ ، يرشح المسكَ والدَّما . [3]

اذا استدبرتنا الشمسُ درَّت متونُنا
كأنَّ عروقَ الجوف ينضحن عَندما . [4]

ولدنا بني العنقاء ، وابنَي مُحرِّقٍ ؛
فأكرمْ بنا خالًا ! واكرِم بنا ابنما ! [5]

نُسوِّد ذا المال القليل ، اذا بدت
مُروءته فينا ، وان كان مُعدِما .

---

١) الحاضر : الحي المتحضّر . فَعْم : كثير . البادي : النازل بالبادية . الشماريخ : ج . شمراخ : رأس الجبل . رَضوى : جبل قرب المدينة .

٢) وغسانَ : الواو للقسم . نمنعْ : جوابُ الشرط .

٣) بكل فتى : متعلق بنمنع . الاشاجع : اصول الاصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكفّ ، عروق ظاهر الكف ، واحدها : أشجَع وإشجَع . عاري الاشاجع : دقيق الكف ، غير غليظها . لاحه : غيّر لونه . يرشح المسك : لانه متطيّب .

٤) متوننا : ظهورنا . العَندم : دم الاخوين ، البَقَّم وهو شجر يُصبغ به . — اراد انهم اذا اصابتهم الشمس فعرقوا ، كان عرقهم طيّب الرائحة لانهم متطيّبون .

٥) العنقاء : لقب احد ابناء عمرو مزيقياً ، وهو من اجداد الغساسنة . محرّق : هو الحرث بن عمرو ، اخو جفنة ، على رأي ابن الكلبي ، فيكون من امراء الغساسنة كذلك . على ان نولدكه (ك . م . ، ص ٥) قد يميل الى جعله من اللخميين ، وهم من انسباء الشاعر ايضاً . واكرم بنا ابنما : اي ما اكرمنا خالًا وما

٣٠ وإنّا لنقري الضيف ، إن جاء طارقاً ،
من الشحم ما امسى صحيحاً مسلّما .
ألسنا نردّ الكبشَ عن طيَّةِ الهوى ،
ونقلبُ مُرّانَ الوشيجِ محطّما ؟ (١)
وكأيِن ترى من سيّدٍ ذي مهابةٍ
ابوه ابونا ، وابنُ أُختٍ ، ومَحرَما ؛ (٢)
لنا الجفناتُ الغُرُّ يلمعن بالضُحى ،
وأسيافنا يقطُرنا من نجدةٍ دما . (٣)
ابى فعلُنا المعروفُ ان ننطِق الخَنا
وقائلُنا بالعُرف إلا تكلُّما ،
٣٥ فكلُّ معدٍّ قد جزينا بصُنعه :
فبؤسى ببؤسى ها ! وبالنُعم ِأَنعُما ! (٤)

أكرمنا ابناً ، وما زائدة .

١) في البيت استفهام انكاريّ . الكبش : سيد القوم . الطيَّة : الحاجة . وطيَّة الهوى : ما يقصده ذاك السيد ، غرضه . المُرّان : ج . مارن : الرمح الليّن . الوشيج : شجر الرماح . اي نطاعن بالرماح حتى تتكسر ، ونردّ السيد عن قصده .

٢) كأيِن : بمعنى كم للكثرة ، وربَّ للقلة . المَحرَم : ما حُمِيَ من كل شيء ، وما حُرِّم من نساء واشياء .

٣) الجفنات : ج . الجفنة : القصعة . الغُرّ : ج . الغرّاء : البيضاء . اراد بها المشرقة من كثرة الشحم . (راجع في الروائع ٢٨ [الخنساء] ص : كج ، ما قلناه عن تلك الاسطورة التي تنسب الى الخنساء نقد هذا البيت) .

٤) ها : للتنبيه . فبؤسى ببؤسى . . . : اى جزينا السيئة بالسيئة ، والحسنة بالحسنات .

ردّ على قيس بن الخطيم

هـذه القصيدة اولى « المذهبات » ، ذكرها ابو زيد القريشي في الجمهرة باختلاف قليل في بعض الابيات . اما في شأن المهاجاة بين الشاعر وقيس بن الخطيم، فراجع المقدمة (ص : د)

لَعمرُ أبيكِ الخيرِ ، يا شَعثَ ، ما نبا
عليَّ اساني في الخطوبِ ، ولا يدي . [1]
لساني وسيفي صارمانِ كلاهما ؛
ويبلغ ، ما لا يبلغُ السيفُ ، مِذودي . [2]
وإن اكُ ذا مالٍ كثيرٍ أُجـدْ به ؛
وإنْ يُعتَصَرْ عودي ، على الجهدِ ، يُحمدِ . [3]
فـلا المالُ يُنسيني حيائي وحِفظتي ،
ولا وقعاتُ الدهرِ يفلُلنَ مِبردي .
أُكثِرُ اهلي من عيـالٍ سواهمُ ،
وأطوي على الماء القراحِ المبرَّدِ ؛ [4]
واني لَمعطٍ مـا وجدتُ ، وقائلٌ
لموقدِ ناري ، ليلةَ الريحِ : « أوقدِ ! »

---

١) شعثَ : اراد شعثاء : اسم المرأة التي كان يشبّب بها .
٢) مِذودي : لساني ، من ذاد : دفع ، وردّ القول .
٣) الجَهد : الفقر ، المشقّة . وان يُعتصر . . . : ان سُئلت ، على الاملاق ، اي في حال فقري ، وُجدت كريمًا كذلك فحُمدتُ . وفي رواية : يُعتصر .
٤) أُكثِر اهلي . . . : اي ازيد على اهلي اهلًا من غيرهم بتفضلي على الفقراء والمحتاجين . واطوي . . . : اي اصوم على المـاء ، وقد تكون الواو للحـال فيكون المعنى : اجود حتى على الغرباء في حال فقري .

وانّي لَقَوّالٌ لذي البثِّ : « مرحبا !
واهلًا » اذا ما جاء من غيرِ مَرصَدِ ؛ [١]
وانّي لَيدعوني النـدى فأُجيبُهُ ،
واضربُ بَيضَ العارضِ المتوقّدِ ؛ [٢]
وانّي لَحلوٌ تعتريـني مرارةٌ ؛
وانّي لَترّاكٌ لمـا لم اعـوّدِ ؛
٤٥ وانّي لمُزجٍ للمطيّ عـلى الوجى ؛
وانّي لَـترّاكُ الفراشِ الممهّدِ. [٣]
وأُعمِلُ ذاتَ اللَّوثِ حتى اردَّهـا ،
اذا حُـلَّ عنها رحلُها لم تُقيَّدِ ، [٤]
اكلّفها ان تُدلِجَ الليـلَ كلَّه
تروح الى باب ابن سَلمى وتغتدي. [٥]

---

١) البثّ : الحزن الذي يُفضي بـه المحزون الى صديقه. وفي رواية : لدى البثّ. من غير مرصد : فجأة ، دون ترقّب.

٢) العارض : اسم فاعل من عرض : ظهر وبدا. ثم العارض : صفحة الخـد ، السحاب المعترض في الافق. كنّى بالعارض المتوقّد عن العدوّ الخفيف الحركة.

٣) مُزجٍ : اسم فاعـل من ازجى الدابة : ساقها واستحثّها ودفعها برفق. الوجى : الحفى من وجيت الدابـة : حفيت. والوجى ايضاً : وجعٌ يأخذ الابل في ايديها وارجلها وارساغها ، ويأخذ الانسان من المشي.

٤) أُعمِل : أحثّ. اللَّوث : القوة ، وذات اللوث : اراد الناقة القوية.

٥) تُدلج : تسير من اول الليـل. ابن سَلمى : اراد به النعمان بن المنـذر اللخمي، على قول الشرّاح – ولا نرى ارتباطًا بين هذه الابيات الثلاثة(٤٦–٤٩) وسائر القصيدة.

وألفيتــه بحرًا كثيرًا فضولُه ،
جوادًا متى يُذكر له الخيرُ يزددِ .
فــلا تعجلنْ ، يا قيسُ ، واربع ! فانما
قُصاراك أن تُلقى بكل مهنّدِ ، [١]
حُسامٍ وارمــاحٍ بايدي أعزّةٍ
متى ترهم ، يا ابن الخطيمِ ، تبلّدِ ، [٢]
ليوثٍ لهــا الاشبالُ تحمى عرينها
مداعيسُ بالخطيّ في كل مشهدِ . [٣]
فقد ذاقت الاوسُ القتالَ ، وطُرّدت ،
وانت لدى الكُنّات ، كلَّ مطرَّدِ ؛ [٤]
فناغٍ لدى الابواب حورًا نواعماً ،
وكحّلْ مآقيــك الحسان بإثمدِ ؛
نفتكم عن العليــاء أمٌّ لئيمةٌ ،
وزندٌ متى تقدحْ به النار يَصلَدِ . [٥]

---

١) اربع : قف وانتظر . قصاراك : جهدك ، آخر امرك ، غاية ما تصل اليه .
٢) تبلّد : تتبلّد : تتحيّر ، تجبن ، تضعف .
٣) مداعيس : ج . مِدعَس : طعّان .
٤) الكُنّات : ج . الكُنّة : السقيفة بين يدي البيت . اي : طرد قومك في الحرب ، وانت معتزل عنهم تحت السقائف ، خوفًا وجبنًا . فحقّك ان تظلّ بين النساء . . . ، كما يتابع المعنى في البيت التالي .
٥) يَصلَد : من صلد الزند : صوّت ولم يورِ . . . المعنى : قعد بكم عن المعالي امران : لؤم اصلكم ، وبخلكم على السائلين .

فخر وردّ

يفتخر الشاعر ، بعد الغزل التقليدي ، بمآتيه عند النعمان بن المنذر ، ويرد على ابن الزبعرى ، مشيرًا الى يوم أُحُد :

منع النومَ بالعِشاء الهمومُ ،
وخيالٌ ، اذا تغور النجومُ ،
من حبيبٍ اصاب قلبك منه
سقمٌ ، فهو داخلٌ مكتوم !
يا لقوم هل يقتلُ المرءَ مثلي
واهنُ البطشِ والعظامِ ، سَؤومُ ! [1]
همُّها العِطرُ والفراشُ ، ويعلو
هـا لجينٌ ولؤلؤٌ منظومُ ،
لو يدبّ الحَوليُّ من ولد الذرِّ
عليها ، لاندبتها الكلومُ ؛ [2]
لم تفقها شمسُ النهار بشيءٍ ؛
غير ان الشبابَ ليس يدومُ .
ان خالي خطيب جابية الجو
لانِ ، عند النعمان ، حين يقومُ ، [3]

---

١) السؤوم : صفة المحبوبة المُشبَّب بها : التي تملّ وتكسل. ٢) الحَولي : في الاصل : ما كان عمره سنة ؛ وقد اراد به الصغير من النمل ، وجعله في صغره كالحولي من ولد ذوات الحافر . الكلوم : الجراح — يصف نعومة جلدها .

٣) جابيـة الجولان : مكان من اعمال الغساسنة في الشام . النُّعمان : هو ابن الحرث الغسَّاني (٥٩٧ ؟–٦٠٠) الذي مات مقتولًا . (راجع الروائع ٣٠ : يا و٣٨) .

وابي في سُمَيحَةَ القائلُ الفا
صلُ ، يوم التفت عليه الخصومُ .(١)
وانا الصقر ، عند باب ابن سَلمى ،
يوم نُعمانُ في الكبولِ مُقيمُ ،(٢)
وأُبيٌّ ووافـدٌ أُطلقا لي ؛
ثم رُحنـا وقفلهم محطومُ ؛
٦٥ ورهنتُ اليدينِ عنهم جميعاً ،
كلَّ كفٍّ فيها جُزٌّ مقسومُ .(٣)
وسَطت نسبتي الذوائبَ منهم ؛
كل دارٍ فيها أَبٌ لي عظيمُ .(٤)
ربَّ حِلمٍ اضاعه عـدم الما
لِ ، وجهلٍ غطّى عليه النعيمُ !
ما أُبالي أنبَّ بالحَزنِ تيسٌ ،
أَم لحاني بظهر غيبٍ لئيمُ ،(٥)
تلك افعالنا ، وفعل الزِبَعرى
خـاملٌ في صديقه مذمومُ ،

١) سُمَيحة : بئر بالمدينة تحاكم عندها القومان الى جدّ الشاعر، او الى ابيه.
٢) ابن سلمى : اراد به النعمان الثالث . اما نعمان المذكور في البيت فهو رجل من عوف كان النعمان بن المنذر قد حبسه وجماعة منهم أُبي بن كعب ، ووافد بن عمرو المذكوران في البيت التالي . فوفد حسّان يشفع فيهم فاطلقهم النعمان .
٣) رهنت اليدين : اي ضمنت له حسن سيرتهم . جُزٌّ : مخفف جزء .
٤) وسَطت : كانت في الوسط . ٥) نبَّ التيس : صاح . لحاني : ذمّني .

ولي البأسُ منكم ، اذ حضرتم ،
أسرةٌ من بني قُصيٍّ ، صميمُ : [١]
تسعةٌ تحمل اللواءَ ، وطارت ،
في رَعاعٍ ، من القنا ، مخزومُ . [٢]
لم يُولّوا حتى أُبيدوا جميعاً
في مقامٍ ، وكلهم مذمومُ [٣]
بدمٍ عاتكٍ ، وكان حِفاظاً
ان يُقيموا ، ان الكريمَ كريمُ ! [٤]
واقاموا حتى أُزيروا شَعوباً ،
والقنا في نحورهم محطومُ ، [٥]
وقريشٌ تلوذُ منا لِواذاً ،
لم يقيموا ، وخفَّ منها الحلومُ ، [٦]
لم تُطق حملَه العواتقُ منهم ،
انما يحملُ اللواءَ النجومُ ! [٧]

---

١) يخاطب بني عبد الدار بن قُصَيّ ، فيذكر صبرهم يوم أُحُد ضدّ المسلمين، وتقلهم لواء الحرب من واحد الى واحد حتى قُتل منهم تسعة . وقد اشار الشاعر الى ذلك ، والى انهزام بني مخزوم ، في البيت التالي وما يليه .

٢) الرَعاع : السفلة .

٣) لم يولّوا : الضمير للتسعة . مذموم : مُلطَّخ ، من ذمّ : بمعنى سال .

٤) بدمٍ : متعلق بمذموم . عاتك : لاصق ؛ وفي رواية : عانك : شديد الحُمرة .

٥) أزيروا : دفعوا الى الزيارة . الشَعوب : المنية لانها تشعّب اي تفرّق .

٦) تلوذ منا لِواذاً : اي يتسلّلون منا مستخفين ومستترين خوفاً .

٧) العواتق : ج . العاتق : ما بين المنكب والعنق . النجوم : الاشراف المُعرقون

الباب الثاني

الاسلاميات

فتح مكة

لم يترك حسّان ، حتى في هذه القصيدة الشهيرة ، الاسلوب التقليدي في الشعر القديم ؛ فبدأ بذكر الاطلال ، فالغزل ، فالخمرة نفسها،حتى وصل الى ذكر الفتح فافتخر بشجاعة المسلمين وبالعون الالهي ، ومدح محمدًا ، وردّ على ابي سفيان :

عفت ذات الاصابعِ ، فالجِواء
الى عذراءَ منزُلها خلاء ، (١)
ديارٌ من بني الحسحاسِ قفرٌ
تعفّيها الروامسُ والسماء ؛ (٢)
وكانت لا يزال بها انيسٌ
خلالَ مروجها نَعَمٌ وشاء . (٣)
فدع هذا ! ولكن مَن بطيفٍ
يؤرّقني ، اذا ذهب العِشاء ، (٤)

---

١) ذات الاصابع والجِواء وعذراء : من منازل الغساسنة في الشام .

٢) بنو الحسحاس : قومٌ من بني النجار . الروامس : الرياح التي ترمس الآثار اي تغطيها بما تحمله من الرمال . السماء : اراد بها المطر .

٣) النَعَم : الإبل . شاء : ج . شاة انثى الغنم ، الناقة ، البقرة .

٤) فدع هذا : اسلوب انتقالي . العِشاء : اول الليل ، من المغرب الى العتمة .

لشعثاءَ التي قـد تيَّمته ،
فليس لقلبـه منها شِفاء ؛
كأنَّ خبيئـةً من بيت راسٍ
يكون مِزاجها عسلٌ وماء ، (١)
على انيـابها ، او طعمَ غضٍّ
من التفاح هصَّره اجتنـاء . (٢)
اذا ما الاشرِباتُ ذُكرنَ يوماً ،
فهنَّ لطيّبِ الراحِ الفداء ،
٨٥ نولّيها الملامةَ ، إن ألَمْنـا ،
اذا ما كان مَغثٌ او لِحاء ، (٣)
ونشربها ، فتتركنا ملوكـاً
وأُسدًا مـا يُنهنها اللقاء .
عَدِمنـا خيلنا ، إن لم تروهـا
تثيرُ النقعَ ، موعدُها كَداء ، (٤)

---

١) خبيئة : صفة الخمر المصونة ؛ وفي احـدى الروايات : سبيئة . بيت راس : قرية مشهورة بخمرها في منطقة الاردن .

٢) هصَّره : اماله وعطفه بشدّة ، عصره .

٣) نولّيها : ضمير المفعول للخمرة . ألمنا : أتينا ما نُلام عليه . المغث : الشر ، القتال . اللِحاء : السباب . يعني : اذا اتينا شيئاً من شر او قتال او سباب نلام عليه أحلناه على الخمرة ، اي نسبناه الى مفعولها فينا .

٤) عدِمنا خيلنا : من نوع القسم ، يدعو على خيله بالهـلاك ان لم . . . النقع : الغبار . كَداء : اسم ثنية الجبل التي في اصلها مقبرة مكة ، ومنها دخل الزبير يوم الفتح .

يُبــارين الاسنّةَ ، مصغياتٍ ،
على اكتافهــا الاسلُ الظِّماءُ ، [1]
تظلُّ جيــادنا متمطِّراتٍ
تلطِّمهــنَّ بالخُمُر النساءُ . [2]
فإمــا تعرضوا عنّا ، اعتمرنا ،
وكان الفتحُ ، وانكشف الغِطاءُ ، [3]
وإلا فاصبروا لجِــلادِ يومٍ
يعينُ الله فيــه من يشاءُ .
وقــال الله : قد يسّرتُ جنداً
همُ الانصارُ عُرضتُها اللقاءُ ، [4]
لنــا في كل يومٍ من معدٍّ
قتالٌ ، او سِبابٌ ، او هجاءُ ،
فنحكمُ بالقوافي من هجــانا ،
ونضرب حين تختلط الدماءُ .
وقــال الله : قد ارسلتُ عبداً
يقول الحقَّ ، إن نفعَ البَلاءُ ، [5]

---

١) يبارين الاسنّة : صورة لسرعة الخيل كانها تركض لتسبق اسنّة فرسانها . مصغيات : منحرفات للطعن . الاسل : الرماح .
٢) متمطّرات : مسرعة يسبق بعضها بعضاً ، او خارجة من جمهور الخيل . تلطمهنّ : اي ان النساء يلطمن الخيل ، يضربنها على وجوههــا بالخمُر لترجع .
٣) العمرة : زيارة البيت في اي وقت كان ، والحج يكون في وقتٍ معيّن .
٤) عُرضَتها اللقاء : اي هم اقوياء على الحرب ، معرّضون لها ، قد اعتادوها .
٥) عبدًا : اراد به محمدًا . البلاء : المحنة والاختبار في الخير والشر .

شهدتُ بـه ، وقومي صدَّقوهُ ؛
فقلتم : ما نُجيب وما نشاء ، [١]
وجبريلٌ امـين الله فينا ،
وروحُ القُدْسِ ليس له كِفاء . [٢]
الا ابلغ ابا سُفيـانَ عني ـــ
فانت مُجَوَّفٌ ، نخِبٌ ، هواء ـــ [٣]
بان سيوفنا تركتك عبـداً ،
وعبدُ الدار سادتُها الإماء ، [٤]
١٠٠ هجوتَ محمداً ، فأجبتُ عنـه ؛
وعنـد الله في ذاك الجزاء !
أتهجوه ، ولستَ لـه بكفء ؟
فشرُّكما لخيرِكما الفـداء !
فمن يهجو رسولَ الله منكم ،
ويمدحه وينصره ، سَواء ، [٥]

١) وقومي صدَّقوه : في بعض الروايات : فقوموا صدّقوه . ما نجيب . . . في بعض الروايات : لا نقوم ولا نشاء .
٢) الكِفاء : النظير .
٣) المجوَّف : المَجُوف : الجبان لا قلب له . والنخِب كذلك . هواء : فارغ ، خالٍ — وفي بعض الروايات ابدل بهذا الشطر آخر فقيل :
مغلغلةً ، فقد برح الخفاء
٤) عبد الدار : فئة من بني قريش جعلوا لواءهم يوم أُحُد في يد أَمة ، بعد ان قُتل حمَلَتُه . فاشار الشاعر الى هذه الحادثة اذ جعل الإماء سادة تلك الفئة .
٥) ان هجوكم ومدحكم سواء : اي لا قيمة له .

فـــان ابي ، ووالدَه ، وعرضي ،
لِعرض محمدٍ منكم وِقاءُ ،
فإمـــا تَثْقَفَنَّ بنو لُؤَيٍّ
جـــذيعةَ ، إن قتلَهم شِفاءُ ، [1]
١٠٥ أولائك معشرٌ نصروا علينـــا ،
ففي اظفارنا منهم دِمـــاءُ .
وحِلفُ الحَرثِ ابن ابي ضِرارٍ
وحِلف قُرَيظة منا بُراءُ ، [2]
لساني صارمٌ لا عيبَ فيه ،
وبحري لا تكدّره الـــدِلاءُ . [3]

أُحُد وبَدر

قال عبدالله بن الزِبَعرى السلمي قصيدة منها :

أبلغـــا حسّانَ عني آيـــةً ، فقريض الشعر يشفي ذا العِللْ
كم ترى بالجرّ من جمجمةٍ ، وأكُفٍّ قد أترّت ، ورِجِلْ
وسرابيـــلَ حسانٍ سُرّيت عن كماةٍ أُهلكوا في المُتَنَزَّلْ
ليت اشياخي ببـــدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسَلْ

فاجابه حسان في يوم أُحُد :

---

١) تثقفنَّ : من ثَقِفَه : صادفه ، اخذه ، ظفِر به . بنو لؤي : من اقرباء النبي . جذيعة : هو المصطلق بن سعد ، اراد قومه – المعنى ان ظفرت بهم بنو لؤي ، كان قتلهم شِفاء .

٢) الحِلف : المحالف ، الصديق . الحرث بن ضرار : من بني المصطلق .

٣) صارم : قاطع . لا تكدّره الدلاء : اي عميق ، بعيد الغور ، يُستقى منه بالدلاء دون ان يكدر ماؤه .

ذهبت بابن الزِّبَعرى وقعةٌ
كان منا الفضلُ فيها ، لو عدَلْ
ولقد نِلتم ، ونلنا منكمُ ،
وكذاك الحربُ احياناً دُوَلْ .
اذ شددنا شدَّةً صادقــةً ،
فأجأناكم الى سفح الجبَلْ ، (١)
اذ تُولُّون على اعقابكم ،
هرباً في الشِعب ، اشباهَ الرَسَلْ ؛ (٢)
نضعُ الخطيَّ في اكتــافكم
حيث نهوى ، عللاً بعد نهَلْ .
فسدحنا ، في مقــامٍ واحدٍ ،
منكم سبعينَ ، غيرَ المُنتَحَلْ . (٣)
واسرنا منكم اعــدادَهم ؛
فانصرفتم مثلَ أفلاتِ الحجلْ . . .
لم يفوتونا بشيء ساعــةً ،
غيرَ ان ولّوا بجهدٍ وفشلْ ؛
ضاق عنا الشِعب ، اذ نَجْزَعُهُ ،
وملأنا القُرط منهم والرِجَلْ ، (٤)

---

١) أجأناكم : الجأناكم .
٢) الرَسَل : القطع من الابل تُرسل الى الماء خمساً خمساً .
٣) سدحنا : صرعنا . غير المنتحل : اي هذا قول صحيح ، لا منتحل : باطل .
٤) نجزعه : نقطعه . القُرط : نشوز الارض . الرِجَل : ج . رجلة : مجرى الماء .

برجالٍ لستمُ امثالَهم ،
أُيِّدوا جبريلَ نصرًا فنزَلْ .
وعلونا يوم بـدرٍ بالتقى ،
طاعةَ الله وتصديقَ الرُسُلْ ،
وتركنا في قُريشٍ عِبرةً ،
يوم بدرٍ ، واحاديث مثَلْ ؛ [1]
وتركنا من قريشٍ جمعهم ،
مثل ما جُمّع في الخصب الهمَلْ ، [2]
فقتلنا كل رأسٍ منهم ،
وقتلنا كل جَحجاحٍ رَفَلْ . [3]
كم قتلنا من كريمٍ ، سيّدٍ ،
ماجد الجدَّين ، مقدامٍ ، بطل !
وشريفٍ لشريفٍ مـاجدٍ
لا نباليه لدى وقع الأَسلْ ! [4]

---

١) عبرة : في طبعة هيرشفيلد : عورة .
٢) الهَمَل : الإبل والمواشي المهملة : لا راعي لها .
٣) الرَفَل : السيّد .
٤) الأسل : الرماح .

الباب الثالث

المدائح

اشهر مدائح حسّان هي تلك القصائد العالية النسيج ، الطافحة بالتذكارات ، التي خصّها بالغساسنة . وقد اخترنا منها اثنتين : واحدة في اولاد جفنة اجمالًا ، وواحدة في جبلة بن الايهم خاصة .

مدح اولاد جفنة

أَسألت رسمَ الدار أم لم تسألِ
بين الجوابي، فالبُضَيْعِ ، فحَوْمَلِ ، (١)
فالمرجِ مرجِ الصُفَّرَيْن ، فجاسمٍ ،
فديار سلمى دُرَّساً لم تُحلَلِ ، (٢)
دارٌ لقومٍ قد اراهم مرَّةً
فوق الاعزَّةِ ، عزُّهم لم يُنقَلِ ؛ (٣)
لله درُّ عِصابةٍ نادمتهم ،
يوماً بِجِلِّقَ ، في الزمان الاولِ ! (٤)

---

١) الجوابي : ج . الجابية ، اراد بها جابية الجولان ، وتُدعى «جابية الملوك» . البُضَيع وحومل : من اماكن الجولان .

٢) الصُفَّر : موضع على اربعة فراسخ من دمشق . جاسم : قرية معروفة للغساسنة بطرف الجولان . دُرَّس : ج . دارس : الذي كاد يضمحلّ من الاثار .

٣) لم يُنقل : اي لم يُنقل عنهم الى غيرهم .

٤) العصابة : الجماعة من الناس ، اراد بها امراء الغساسنة . جِلِّق : غير دمشق (راجع المقدمة ، ص : ه . حاشية : ٦)

يمشون في الحُلَلِ المضاعفِ نسجُها
مشيَ الجِمال الى الجِمالِ البُزَّلِ ، [١]
الضاربون الكبشَ يبرقُ بيضُه
ضرباً يَطيحُ له بَنانُ المَفصِلِ ، [٢]
والخالطون فقيرَهم بغنيّهم ،
والمنعمون على الضعيف المُرملِ ؛ [٣]
اولاد جفنةَ حول قبرِ ابيهم ،
قبرِ ابن مارية الكريم المُفضلِ . [٤]
يُغشَونَ حتى ما تهِرُّ كلابُهم ،
لا يسألون عن السوادِ المقبلِ ، [٥]
يسقُون مَن ورَد البريصَ عليهم
بردى يُصَفَّقُ بالرحيق السلسلِ ، [٦]

١) البُزَّل : ج. البازل : البعير اذا بزل نابه اي طلع، ومن الرجال : الكامل في تجربته واختباره .

٢) الكبش : سيد القوم . البيض : ج. البيضة : الخوذة ، تُستعمل لوقاية الرأس في الحرب . يطيح : يذهب ، يسقط . المَفصِل : كل ملتقى عظمين من الجسم .

٣) المُرمِل : الذي فني زاده ، الفقير .

٤) جفنة : جدّ امراء الغساسنة . ابن مارية : يظهر انه اميرٌ توفي على عهد الشاعر (راجع نولدكه : الكتاب المذكور ، ص ٣٤) فاقام ابناؤه يعقرون الابل على قبره فيتصدّقون بلحمها . وهي عادة قديمة عند العرب .

٥) يُغشَون : من غشيَه : جاءه – اي يتردّد عليهم الاضياف والفقراء حتى ان كلابهم ، وقد اعتادت مرأى هذه الوفود ، لا تنبح احدًا .

٦) البريص : في بعض الشروح انه نهر يتشعّب من بردى . بردى : اراد ماء بردى . يُصفق : يُمزج . الرحيق : الخمرة البيضاء . السلسل : السهل المساغ .

يُسقَون درياق الرحيق ؛ ولم تكن
تدعى ولائدهم لنقفِ الحنظلِ ، (١)

١٣٥ بيضُ الوجوه ، كريمةٌ احسابُهم ،
شُمُّ الانوف من الطراز الاولِ .

فلبثتُ ازمانًا طِوالًا فيهم ،
ثم اَدَّركتُ كأنني لم افعلِ . (٢)

إمّا ترَي رأسي تغيَّر لونه
شمَطاً فاصبح كالثَّغامِ المُحوِلِ ، (٣)

فلقد يراني مُوعِدِيَّ كأنني
في قصر دومة او سماء الهيكلِ . (٤)

ولقد شربتُ الخمرَ من حانوتها
صهباء . صافيةً كطعم الفِلفِلِ ،

---

١) الدرياق : والترياق ، والطرياق : الدواء الشافي من السم ، شبه به الخمرة . الولائد : ج . الوليدة : الخادمة . الحنظل : نبت يمتد على الارض كالبطيخ ، وهو شديد المرارة ؛ ونقفه : كسر ثمرته واستخراج بزره ، وكانت العرب تستعمله دواءً لتسهيل المعدة . – ولم تكن . . . : اي انهم في سعة لا يحتاجون الى ما تحتاج اليه العرب من جمع الحنظل ونقفه . . .

٢) ادَّركت : من ادَّرك الشيءَ : لحقه ؛ اي لحقت بقومي ، انتقلت . وفي رواية : ادَّكرتُ . المعنى : بقيت زمنـاً طويلًا عند الغساسنة ثم انتقلت عنهم ، فكأنه لم يكن شيء ؛ اي لم يبقَ الا الحديث والذكر .

٣) الثَّغام : نبات ابيض الزهر والثمر . المُحول : الذي اتى عليه الحول .

٤) موعدي : من اوعده : تهدَّده بالشر ؛ يستعمل الوعد للخير والوعيد للشر . دومة : اراد دومة الجندل ، من منازل الغساسنة بين الشام والحجاز . الهيكل : قال شارح الديوان : البيت الذي يكون فيه قربان النصارى وانجيلهم .

يسعى عــلـيَّ بـكأسها متنطِّفٌ
فيعلّني منها ، ولو لم أنهَلِ ؟ (١)

ان الــتي ناولتَني فرددتُها
قُتلتْ – قُتِلتَ ا – فهاتها لم تُقتَلِ ! (٢)

كلتاهمـــا حَلَبُ العصير ، فعاطني
بزجاجةٍ أَرخاهمــا للمِفصلِ ، (٣)

بزجاجــةٍ رقصت بما في قَعرِها
رقصَ القَلوص براكبٍ مستعجلِ . (٤)

نسبي أصيلٌ في الكرامِ ، ومِذودي
تكوي مواسمُه جنوبَ المصطلي . (٥)

ولقد تقلّدنا العشيرةُ أمرَهــا ،
ونسودُ يوم النائبات ، ونعتلي ؛ (٦)

ويسودُ سيدُنا جحاجحَ سادةً ،
ويصيبُ قائلُنا سواءَ المَفصِلِ ؛ (٧)

---

١) المتنطّف : الذي في أُذنه النَطَفَة : القرط ، الحلقة . يعلّني . . . : اي ان الساقي يسقيني على كل حال عطشت ام لم اعطش. ٢) قُتلت : مُزجت بالماء .
٣) كلتاهما . . . : كلتا الخمرتين الممزوجة والصرف من عصير العنب . ارخاهما : اشدُّهما إرخاءً . المفصَل : اللسان ، احد مفاصل العظام في الجسم . يطلب شرب الخمرة التي تكون اشدّ مفعولاً من غيرها في إرخاء اللسان او مفاصل الجسم .
٤) القَلوص : الناقة الفتيّة .
٥) مِذودي : لساني . المصطلي : اراد به من يصطلي بناره ، اي يتعرّض له .
٦) مما يجدر بالانتباه ادخال .قد على المضارع .
٧) جحاجح : ج . جحجاح : السيد الكريم . يصيب سواء المَفصِل . اي يصيب

ونحـــاول الامرَ المهمَّ خطابُه
فيهم، ونفصِل كلَّ أمرٍ معضِلِ ؛
وتزورُ ابوابَ الملوكِ ركابُنـــا ؛
ومتى نُحكّمْ في البريةِ ، نعدِلِ .
وفتى يُحِبُّ الحمدَ ، يجعلُ مــالَه
من دونِ والده ، وان لم يُسألِ ،
باكرتُ لذّته ، ومــا ماطلتُها ،
بزجاجةٍ من خيرِ كرمٍ أهدلِ . [1]

مدح جبلَة بن الايهم

لمن الدارُ أوحشتْ بمعــانٍ ،
بين اعلى اليرموكِ فالصمّانِ ،
فالقُريّات من بلاسَ ، فدارَ
يّا ، فسكّاء ، فالقصور الدواني ،
فقفا جاسمٍ ، فأودية الصُفْ
رِ ، مغنى قبائلٍ وهجانِ ! [2]
تلك دارُ العزيزِ ، بعد أنيسٍ
وحــلول عظيمةِ الاركانِ !

وسط الامر المعضل العظيم ، فيفصله .

١) الكرم الاهدل : المتدليّة اغصانه .

٢) كل الاعلام في هذه الابيات الثلاثة مواضع بالشام للغساسنة .

هَبِلَت أُمهم ، وقد هَبِلَتهم ،
يومَ حلّوا بحارث الجَولانِ .[1]
قد دنا الفِصحُ ، فالولائدُ ينظِمـ
نَ ، قعودًا ، أَكِلَّةَ المِرجانِ ؛[2]
يجتنينَ الجـادِيَّ في نُقَبِ الرَيْـ
طِ عليها مجاسِدُ الكتّانِ .[3]
لم يُعلّلنَ بالمغافرِ والصَّمْـ
غِ ولا نقف حنظلِ الشِّريانِ[4]
ذاكَ مغنًى من آل جفنة في الدّهْـ
رِ ؛ وحقٌّ تعاقبُ الازمانِ !
قد اراني هناكَ حقَّ مكينٍ
عند ذي التاج مجلسي ومكاني !

---

١) هَبِلَت : ثكلت .
٢) قعودًا : وفي رواية : سراعًا .
٣) الجاديّ : الزعفران ، اراد يطّلين بالزعفران ، فكأنهنّ قد اجتنينه . الرَّيْط : ج . الرَّيطَة : الملاءَة اذا كانت قطعة واحدة . مجاسد : ج . مِجسَد : ما يلي الجسد من الثياب ؛ ومُجسَّد : ما اشبع صبغه بالزعفران من الثياب .
٤) المغافر والمغافير : ج . مِغفَر ومُغْفور : نوع من الصمغ ينضحه الثام ؛ وهو نبت ضعيف كالقصب ، وبعض العرب يجنون هذا الصمغ وقد يأكلونه ، الا انه كريه الرائحة وان كان حلو الطعم ، ويُدعى ايضًا المِغثَر والمُغثُور — يقول الشاعر : ان ولائد الغساسنة لا يشغلن شغل ولائد العرب فلا يجنين صمغ الثام ولا ينقفن الحنظل فيستخرجن ما فيه ، انما يضفرن اكاليل المرجان ، وهنّ مستريحات .

الباب الرابع

الاهاجي

أكثرنا من الاهاجي، لان الهجاء يكاد يمثّل شعر حسّان بكامله بعد اسلامه :

هجاء الحرث بن كعب

كان النجاشي قد هجا بني النجّار، قوم حسّان، فردّ عليه عبد الرحمن بن حسّان، فغلبه النجاشي. فأُخبر حسّان، وهو في اواخر حياته، فقال يهجو قوم النجاشي بني الحرث بن كعب، وقال بان تُلقى الابيات على صبيان المكاتب :

حارِ بنَ كعبٍ، ألا الاحلامُ تزجركم
عني، وانتم من الجُوفِ الجماخيرِ ! [1]
لا بأس بالقوم من طولٍ ومن عِظَمٍ :
جسمُ البغالِ واحلام العصافيرِ !
كانهم قصبٌ جُوفٌ مكاسرُه،
مثقَّبٌ فيه ارواح الاعاصيرِ،
دعوا التخاجؤَ، وامشوا مِشيةً سُجُحاً ؛
ان الرجال ذوو عَصْبٍ وتذكيرِ ! [2]

---

١) حارِ : مرخّم حارث . الجُوف : ج . الاجوف : الواسع الجوف . الجماخير : ج . الجمخور : الجسيم القليل العقل والقوّة .

٢) دعوا : في رواية : ذروا . التخاجؤ : التبختر وتحريك اليدين عند المشي . سُجُحاً : مستقيمة . العَصب : شدة الخلق .

ألا طِعـانٌ ! ألا فرسان عادية !
إلّا تجشُّؤكم حول التنانيرِ ! (١)
لا ينفع الطولُ من نُوكِ القلوب ، ولا
يهدي الالهُ سبيـل المعشر البورِ . (٢)
اني سانصر عرضي من سَراتِكم ؛
انّ النجاشي نسيٌ غير مذكورِ ،
الفى اباه ، والفى جـدّه ، حُبِسا
بمعزِلٍ عن معالي المجد والخِيرِ . (٣)

هجو بني الحماس ، وهم من الحرث بن كعب

يا راكباً ، إمّا عرضت ، فبلّغن
عبد المدانِ ، وجُلّ آل قنانِ : (٤)
قد كنت أحسب أن اصلي اصلكم
حتى امرتم عبدكم ، فهجاني . (٥)

---

١) ألا : للاستفهام الانكاري والتوبيخ . التجشّؤ : مصدر تجشّأ : خرج صوت مع ريح من فمه عنـد الشبع . التنانير : ج . تنّور . يقول : انكم لستم اهل حرب وغارة على الاعداء ، انما انتم قوم أكل وشرب . ولم يرد البيت في طبعة هيرشفيلد .

٢) النَوك : الحمق . القلوب : في بعض الروايات : الرجال . البور : الذي لا نفع فيه . يقال : رجل بور ، وامرأة بور ، وقومٌ بور .

٣) الخِير : الكرم .

٤) عبد المدان ، وقنان ، وسائر الاعلام : من قوم الحرث بن كعب .

٥) عبدكم : اراد به النجاشي الشاعر .

فتوقّعوا سَبَل العذاب عليكمُ
مما يعزُّ على الرويّ لساني .[1]

فلأذكرنّ بني رُميمة كلّهم ،
وبني الحصين بخزيةٍ وهوانِ ،

ولتُعرفنّ قلائدي برقابكم
كالوشم لا تبلى على الحدثانِ .

أبني الحماس ، فما اقول لثلّةٍ
ترعى البقاع خبيثةَ الاوطانِ ![2]

اين المآلُ ، بني الحماسِ ، اذا ذكت
بهجائكم متشنعاً نيراني ![3]

وقال يهجو القوم انفسهم :

امـا الحماسُ فاني غير شاتمهم ،
لا هم كرامٌ ، ولا عِرضي لهم خَطَرُ . . .[4]

كأنّ ريحهم في الناس ، اذ برزوا ،
ريحُ الكلاب اذا ما بلّها المطرُ .

اولادُ حامٍ فلن تلقى لهم شبهاً
الا التيوسَ على اكتافها الشعرُ . . .[5]

---

١) السَّبَل : كثرة المطر والاندفاع . يعزّ : يحكم .
٢) الثلّة : الجماعة من الغنم .
٣) المآل : المرجع ، وفي رواية : المِثال : القصاص .
٤) الخطَر : المثل ، العديل ، الكفء ، وقد مرّ .
٥) اولاد حام : اراد انهم سود .

ان سابقوا سُبقوا ، او نافروا نُفروا ،
او كاثروا احدًا من غيرهم، كُثروا .
شبه الإِماءِ ، فلا دينٌ ولا حسبٌ ،
لو قامروا الزّنجَ عن احسابهم قُمروا .
تلقى الحماسيَّ لا يمنعْكَ حُرمتُهُ ،
شبه النبيطِ اذا استعبدتهم صبروا . (١)

هجاء صفوان بن المعطّل

صفوان بن المعطّل السُلمي هو الذي رُميت به عائشة (راجع المقدمة، ص : ي)

ارى الجلابيب قد عزّوا وقد كثروا ،
وابن الفُرَيعة أمسى بيضةَ البلدِ . (٢)
جاءت مُزينةُ من عَمقٍ لتُخرجني ؛
إخسَي، مُزَينَ ، وفي اعناقكم قِدَدي . (٣)
يرمون بالقول سرًّا في مهادنـةٍ
يُهدى اليَّ كأني لستُ من احدِ ! (٤)

---

١) لا يمنَعْكَ : سكّن العين ضرورةً . الحُرمة : كل ما على الانسان ان يحافظ عليه ويدافع عنه .

٢) الجلابيب : اراد جم سفلة النـاس ورعاعهم قاصدًا امثال صفوان . ابن الفُريعَة : هو حسّان نفسه . بيضة البلد : كناية عن الذلّ ، وهي التي تتركها النعامة في الفـلاة ، ويكنى ايضًا ببيضة البلد عن العزّ والمنعة والتقدّم ، وهذا من الاضداد . الا ان المقصود هنا المعنى الاول ؛ يشكو من دهره الذي جعله ذليلًا بعد العزّ، وجعل « الجلابيب » في العزّ والكثرة بعد الذلّ والقلة .

٣) عمق : اسم مكان لمزينة . القِدَد : ج . القدة : قطعة سير تُقدّ من الجلد .

٤) المهادنة : المصالحة والموادعة .

قد ثكلت أُمّه من كنتُ صاحبَه ،
او كان منتشباً في بُرثُنِ الاسدِ ، [1]
ما البحرُ ، حين تهبُّ الريح شاملةً
فيَغطَئِلُّ ويرمي العِبرَ بالزبــدِ ، [2]
يوماً ، باغلبَ مني ، حين تبصرني
افري من الغيظ فريَ العارضِ البَرِدِ . [3]
ما للقتيل ، الذي اعدو فآخذُه ،
من ديةٍ فيه يُعطاها ، ولا قَوَدِ . [4]
بلّغْ عبيدًا بأني قــد تركتُ له
من خيرِ مـــا يترك الآباء للوَلدِ : [5]
الدار واسطةٌ ، والنخلُ شارعةٌ ،
والبيض يرفلنَ في القِسِيِّ كالبردِ . [6]

---

١) صاحبه : وفي رواية واجــده . المعنى : ان كل من لاقيته فكنت صاحبَه في الحرب اي قرنه ، كان نصيبه الموت فثكلته امه ، واصبح مأ كلًا للاسود .

٢) يغطئلُّ : تضطرب امواجه فيركب بعضها بعضاً .

٣) افري : آتي بالعجب . او افري : اتقطّع . فريَ العارض . . . كما يتقطّع السحاب العارض عن البَرَد .

٤) القود : القصاص — المعنى : لا اعطي دية من أقتل ولا أقاصّ به .

٥) عُبيد : اراد ابنه عبد الرحمن .

٦) واسطة : مقدمة ، وفي رواية : واسعة . شارعة : على طريق نافذ . القِسِّي : ثوب مضلّع منسوب الى القِسّ : قرية مصرية على ساحل البحر .

هجاء بني سهم بن عمرو بن هصيص ،وعمرو بن العاص بن وائل

لاطت قريشٌ حياضَ المجدِ ، فافترطت
سهمٌ ، فاصبح منه حوضُها صَفِرا ؛ (١)
واوردوا ، وحياضُ المجد طاميةٌ ،
فدلّ حوضَهم الوُرّادُ فانهدرا .
واللهِ ، ما في قريشٍ كلّها نفرٌ
اكثر شيخاً جباناً ، فاحشاً ، غُمُرا ، (٢)
ازبَّ ، اصلعَ ، سفسيرًا ، له ذَأَبٌ ،
كالقردِ يعجمُ ، وسطَ المجلسِ ، الحُمرا . (٣)
١٩٥ هُذُرٌ ، مشائيمُ ، محرومٌ ثويُّهم ،
اذا تروّح منهم زُوّد القمرا . (٤)

---

١) لاط الحوضَ : اصلحه بالطين . افترطت : غفلت ، سهت ؛ او تقدّمت الى الورد من حياض قريش . سهم : القوم الذين يهجوهم . صَفِر : فرغ ، خلا .

٢) الغُمُر : الغُمر : الابله ، من لم يجرّب الامور .

٣) الازبّ : الكثير الشعر ، او شعر الوجه واللحية خاصةً . وفي رواية : اذبّ : شاحب اللون ، طويل . اصلع : في رواية : اصفح . السِفسير : تابع الخادم ، خادم الإبل ، السمسار . الذَأَب : السلاطة والفحش في اللسان . يعجم : يعضّ . الحُمَر : التمر الهندي . وجاء في شرح الديوان انه تمر حامض يكون باليمن على هيئة الخرّوب الشامي له حبّ كحبّ الخرّوب يلصق بعضه ببعض مثل تمر السند ، ويطبخون به قدورهم .

٤) هُذُر : يخلطون في منطقهم فيتكلمون بما لا ينبغي ، لا يعرفون مواقع الكلام . مشائيم : ج . مشؤوم : الذي يجرّ الشؤم : ضد البركة . ثويّهم : المقيم عندهم .

أمــا ابن نابغةَ العبدُ الهجينُ فقد
أنحى عليه لساناً صارماً ذكرا... [١]

يا آل سهمٍ ، فاني قد نصحتُ لكم ،
لا أبعثنَّ على الاحياء من قُبرا ،

ألا ترونَ بأني قــد ظُلِمتُ ، اذا
كان الزِبَعْرى لنعلَي ثابتٍ خطَرا ! [٢]*

كم من كريمٍ يعضُّ الكلب مِئزرَهُ ،
ثم يفرُّ اذا القمتــهُ الحجرا ! [٣]

قولي لكم ، آلَ شجعٍ ، سمُّ مُطرقةٍ
صمّاءَ تطحر عن انيابها القذرا... [٤]

لولا النبيُّ ، وقول الحقِّ مَغضبةٌ ،
لما تركتُ لكم أنثى ولا ذكرا !

هجاء المُغيرة بن شُعْبة الثقفي

لو أنَّ اللؤمَ يُنسبُ كان عبــدًا
قبيحَ الوجه ، أعورَ ، من ثقيف ،

اذا تروَّح... يقول : انهم يحرمون ضيفهم الطعام فاذا سافر زوَّدوه قمر السماء. وفي رواية : زوّد الغفرا : الجوع ، والوسخ ، وسوء الحال.

١) نابغة : أم عمرو بن العاص المهجوّ. الهجين : الذي ابوه عربي وأمه أمة.

٢) الزِبَعرى : والد عبد الله بن الزِبَعرى الذي كان يهجو حسّان والاسلام. ثابت : والد حسّان. الخَطَر : المِثْل ، العديل.

٣) يفرّ : الضمير للكلب.

٤) مُطرقة : نعت الحيّة المحذوفة. تطحر : تدفع ، تبعد. القَذَر : الوسخ.

تركتَ الدينَ والايمانَ جهلًا ،
غداةَ لقيتَ صاحبةَ النصيفِ ،[١]
وراجعتَ الصِبا ، وذكرتَ لهوًا
من الاحشاءِ والخصرِ اللطيفِ .

هجاء بني هوازن بن منصور

٢٠٥ أبلغْ هوازنَ : اعلاها واسفلها
أن لستُ هاجيَها الا بما فيها :
قبيلةٌ أَلأمُ الاحياءِ أكرُمها ،
واغدرُ الناسِ بالجيرانِ وافيها ،
وشرٌّ من يحضرُ الامصار حاضرُها ،
وشرٌّ باديةِ الأعراب باديها ،
تبلى عظامُهم ، إمّا همُ دُفنوا
تحت الترابِ ، ولا تفنى مخازيها . . .

هجاء ابي سفيان بن الحرث بن عبد المطّلب

هو ابن عمّ النبي كان يهجوه اول الاسلام ، فكان حسّان يردّ عليه بكثير من الفحش حتى لا يمكننا ان نختار من هجائه له ، على كثرته ، الا هذه الابيات:

لقد علم الاقوام أنّ ابنَ هاشم
هو الغصنُ ذو الافنانِ ، لا الواحدُ الوغدُ ،[٢]

---

١) النصيف : الخمار ، ما تُغطي به المرأة رأسها ووجهها ويتدلّى على صدرها .

٢) الافنان : ج . الفَنَن : فرع الغصن : اراد بذي الافنان محمدًا ؛ وبالواحد الوغد ابا سفيان . فميّز بين النبي وابن عمه بان جعل الاول وحده الجدير باسم

وما لك فيهم محتِدٌ يعرفونه ،
فدونكَ ، فالصَقْ مثل ما لصق القُردُ ؛[1]

وأبلغ ابا سفيان عني رسالةً :
فما لك من اصدار عزمٍ ، ولا وِردُ ،[2]

وان سنام المجد من آلِ هاشمٍ
بنو بنتِ مخزومٍ ، ووالدكَ العبدُ .[3]

وما ولدت افناء زُهرةَ منكم
كريماً ، ولم يقرب عجائزَكَ المجدُ .[4]

ولست كعبَّاسٍ ، ولا كابن أُمه ؛
ولكن هجينٌ ليس يورى له زَندُ .[5]

وكنت دعيّاً نيط في آل هاشمٍ ،
كما نيط خلف الراكب القدحُ الفردُ .[6]

وان امرءًا كانت سُمَيّةُ أُمهُ
وسمراء ، مغلوبٌ ، اذا بلغَ الجهدُ .[7]

ابن هاشم ممتدة اغصانه ، وجعل الثاني منفردًا بنفسه لئيماً .

١) فيهم : بني هاشم . المحتِد : الاصل . القُرد : دويبة تلصق بالبعير والكلب .

٢) الاصدار والورد : كناية عن الاخذ والردّ في الرأي .

٣) سنام كل شيء : اعلاه . بنت مخزوم : جدّة النبي لابيه .

٤) افناء : افناء الناس : العامة ، الذين لا يُعرف من هم . زُهرة : امرأة كلاب ابن مرّة نُسب اليها حيّ المهجوّ .

٥) العباس : عم النبي . ابن أُمه : اي اخوه ضِرار . هجين : ابن أمة ، وقد مرّ . الزَند : العود تقدح به النار ، والتعبير كناية عن البخل .

٦) الدعيّ : الذي يدّعي انه من نسب قوم فيلحق بهم . نِيط : عُلّق .

٧) سميّة : أُم ابي سفيان وكانت أَمة . سمراء : أُم ابيه وكانت أَمةً كذلك .

الباب الخامس

المراثي

رثاء عثمان

لما قُتل عثمان فاضت عاطفة الشاعر بابيات امتزج فيها الاسف بالتهديد (راجع المقدمة، ص: يا و يب) منها هذه الابيات، وقد ورد في بعض الروايات انها آخر ما قاله الشاعر.

مَن سرَّه الموتُ صِرفاً لا مزاجَ له
فليأتِ مأسدةً في دار عُثمانا، [1]
مُستَحقبي حلقِ الماذيِّ، قد سَفَعت،
فوق المخاطِمِ، بيضٌ زان أبدانا. [2]
بل ليتَ شعري! وليتَ الطيرَ تُخبرني
ما كان شأنُ عليٍّ وابن عفّانا! [3]

---

١) المأسدة: محل تكثر فيه الاسود، او جمع اسد.

٢) الحَلَق: ج. الحَلْقة: (الدرع، وقد تُطلق على السلاح عامّة. الماذيّ: كل سلاح من حديد. سَفَعت: أثّرت، تركت علامة. المخاطم: ج. المخطم: الانف. البيض: ج. البَيضة: الخوذة.

٣) علي: هو علي بن ابي طالب — وورد بعد هذا البيت، في طبعة مصر، البيت التالي:

ضحّوا باشمطَ عنوانُ السجودِ به يُقطّع الليلَ تسبيحاً وقرآنا

لتسمعنَّ وشيكـاً في ديارِكم :
اللهُ اكبرُ ! يا ثاراتِ عُثمانا ! (١)
وقـد رضيتُ باهل الشام زافرةً ،
وبالاميرِ ، وبالاخوانِ إخوانا ؛ (٢)
اني لَمِنهم ، وان غابوا ، وإن شهدوا ،
حتى المماتَ وما سُمّيتُ حسّانا !
وَيهاً ! – فِدًى لكمُ أمي وما ولدتْ ،
قد يَنفعُ الصبرُ في المكروه احيانا ! – (٣)
شُدّوا السيوفَ بثِنْيٍ في مناطِقِكم
حتى يَحِينَ بها في الموت من حانا ، (٤)
لعلّكم أن تروا يومـاً بمَغْبَطةٍ
خليفةَ اللهِ فيكم كالذي كانا ! (٥)

وقال ايضاً في قتل عثمان ، يهدّد قاتليه :

أتركتُمُ غزوَ الـدروب ، وجئتمُ
لقتـالِ قومٍ عند قبرِ محمّدِ ؟

---

١) لتسمعن : اللام لجواب قسمٍ محذوف . وشيكاً : قريباً ، سريعاً . دياركم : يخاطب القتلة ، وفي طبعة مصر : ديارهم .
٢) الزافرة : الجماعة ، الكتيبة ، عشيرة الرجل وانصاره . – يصرّح بانضمامه الى اهل الشام ، حزب معاوية .
٣) وَيهاً : كلمة إغراء وتحريض . يحرّضهم على شدّ السيوف كما في البيت التالي .
٤) بِثِنْيٍ : اي معطوفة في مناطقكم . يحين : يهلك .
٥) المغبطة : في الاصل : الارض اذا تكاثف نبتُها وتدانى . ولعله اراد بها ما يدعو الى الغِبطة : حسن الحال والمسرّة .

فلَبِئسَ هــديُ الصالحين هديتمُ !
ولبِئس فعلُ الجــاهل المتعمدِ !

ان تُقبلوا نجعل قِرى سرواتِـكم ،
حولَ المدينةِ ، كلَّ لدنٍ مِذوَدِ [1]

او تُدبروا ، فلبئسَ مــا سافرتمُ
ولَمثلُ امرِ إمــامكم لم يهتدِ ! [2]

وكــأنَّ اصحابَ النبيِّ ، عشيةً ،
بُدنٌ تُنحَّرُ عنــد باب المسجدِ ، [3]

فــابكِ أَبا عمرٍو لحسن بِلائه ،
أَمسى مقيماً في بقيعِ الغَرقــدِ ! [4]

رثاء حمزة

قدمت أُمامة بنت حمزة بن عبد المطلب المدينة تسأل عن قبر ابيها ، وكان قد قُتل يوم أُحُد ، فقال حسّان :

تُسائل عن قَرمٍ هِجــانٍ سَمَيدَعٍ
لدى البأس ، مغوار الصباح ، جسورِ ، [5]

---

١) القِرى : الطعام . سرواتكم : اشرافكم . اللدن : اللّين ، صفة للرمح المحذوف المِذود : الذي يُذاد به اي يدافع .

٢) يريد بامامهم محمد بن ابي حذيفة بن عتبة ، وهو اول من مشى في قتل عثمان ، على رواية الديوان .

٣) بُدْن : ج. بَدَنَة : ناقة او بقرة مُسمَّنة تُهدى الى مكة فتُنحر بها .

٤) ابو عمرو : كنية عثمان . بقيع الغرقد : مقبرة بالمدينة .

٥) القَرم : الفحل، ثم السيد، العظيم من الرجال . الهجان : الكريم، الحسيب . السَميدع : السيد الشريف ، الشجاع . مغوار الصباح : يقوم بغاراته صباحاً .

اخي ثقةٍ يهتزُّ للعُرف والنـدى ،
بعيدِ المدى ، في النائبات صبورِ ،
فقلت لهـا : إن الشهادةَ راحـةٌ
ورضوانُ ربٍّ ، يا أمامَ ، غفورِ . [1]
فإنَّ اباكِ الخـيرَ حمزةَ ، فاعلمي ،
وزيرُ رسول الله خـيرِ وزيرِ ،
دعاه اللهُ الحقِّ ، ذو العرشِ ، دعوةً
الى جنـةٍ يرضى بها ، وسرورِ .
فذلك مـا كنّا نُرَجّي ، ونرتجي
لحمزة ، يومَ الحشر ، خيرَ مصيرِ .
فوالله ، لا انساكَ ، ما هبّت الصَّبا ،
ولأَبـكينْ ، في محضري ومسيري ، [2]
على أَسد الله الذي كان مِدرهـاً
يذودُ عن الاسلام كلَّ كَفورِ . [3]
أَلا ليت شِلوِي ، يومَ ذاكَ ، وأَعظُمي
الى أَضبعٍ يَنتَبْنني ونسورِ ! [4]
اقولُ ، وقد اعلى النعيُّ بهُلكه :
جزى الله خيرًا من أَخٍ ونصيرِ ! [5]

---

١) الشهادة : اراد بها الاستشهاد في سبيل الله . أمامَ : مرخَّم أُمامة

٢) ولأبكين : أشبع فتحة اللام ، والّا فيصبح الشطر من الكامل .

٣) أسد الله : لقب حمزة . المِدْره : زعيم القوم ، المتكلم عنهم .

٤) الشِلو : العضو المقطوع . أضبُع : ج . ضبُع . يَنْتَبْنَني : يتناولنني في الاكل .

٥) اعلى النعيُّ : ارتفع البكاء والعويل عند وصول خبر موته .

الباب السادس

الخمريات

كان حسّان من المدمنين على شرب الخمرة وعلى التغني بها في شعره ، حتى لم يتراجع عن ذلك في مدائح النبي نفسه ، كما تقدَّم في « فتح مكة » . وقد جمعنا هنا شيئًا يمثل هذه الناحية من شعره ، وان كانت تختلط عادةً بالفخر والمدح :

ما هاجَ حسّانَ رسومُ المقامْ ،
ومَظعن الحيِّ ، ومبنى الخِيامْ ،
والنُؤيُ قد هدَّمَ اعضادَه
تقادمُ العهدِ بوادي تِهامْ ؛ [1]
قد ادركَ الواشونَ ما حاولوا :
فالحبلُ من شعثاءَ رثٌّ الرمامْ . [2]
جِنّيــةٌ أرّقني طيفُها ،
تذهبُ صبحاً ، وتُرى في المنامْ !
هل هي الا ظبيــةٌ مُطفِلٌ
مألفُها السِدرُ بنَعفَي بَرامْ ، [3]
تُزجي غزالًا فاترًا طَرْفــه ،
مقارب الخطوِ ، ضعيفَ البُغامْ ؛ [4]

---

١) النؤي : القناة حول الخباء تدفع عنه السيل . اعضاده : نواحيه .
٢) شعثاء : التي يشبّب بها . الرِمام : ج . الرِمة : قطعة الحبل . وحبلٌ رِمام : بالٍ .
٣) مُطفِل : لها اطفال ، نعت الظبية . السِدْر : شجر النبق . النَعف : مقدّم الرملة وما استرقّ منها ، جانب الوادي . بَرام : اسم وادٍ .
٤) تُزجي : تدفع ، تسوق . البُغام : صوت الغزال .

كأنَّ فاهــا ثَغَبٌ باردٌ
في رَصَفٍ ، تحت ظِلال الغَمامْ ،[1]
شُجَّ بصهباءَ لهــا سورةٌ ،
من بيتِ راسٍ ، عُتِّقَت في الخِتامْ ،[2]
عتَّقها الحــانوتُ دهرًا ، فقد
مرَّ عليها فرطُ عــامٍ فعامْ ،
نشربها صِرفاً وممزوجــةً ،
ثم نُغنّي في بيوت الرُخامْ ؛
تدبُّ في الجسم دبيباً ، كما
دبَّ دَبًى وسطَ رَقاقٍ هَيامْ .[3]
كاساً ، اذا ما الشيخ والى بها
خمساً ، تردَّى برداء الغلامْ !
من خمرِ بَيسان تخيَّرتُهــا ،
درياقةً ، تورث فَتْرَ العِظامْ ؛
يسعى بها أحمرُ ذو بُرنُسٍ ،
مُحتَلَقُ الذِفرى ، شديدُ الحِزامْ ،[4]
أروعُ ، للدعوةِ مستعجلٌ ،
لم يثنه الشأنُ ، خفيفُ القيامْ .

---

١) الثَغَب : الماء في بطن الوادي ، الغدير في ظل جبل لا تصيبه الشمس فيبرد ماؤه . الرَصَف : الحجارة المتدانية . ٢) شُجَّ : مُزج . سورة الخمر : حدَّتها .
٣) الدَبى : اصغر ما يكون من الجراد والنمل . الرَقاق : الارض المستوية الليّنة التراب تحته صلابة ، التي نضب عنها الماء . هَيام : ذات تراب يخالطه رمل .
٤) الذِفرى : العظم الشاخص خلف الاذن .

دَعْ ذِكرَها ، وانْمِ الى جَسْرَةٍ
جُلْذِيّةٍ ، ذاتِ مِراحٍ ، عَقامْ ، [1]
دِفَقَّةِ المِشيةِ ، زَيّافةٍ ،
تهوي خنوفاً في فُضولِ الزِمامْ ، [2]
تحسبِها مجنونةً تغتلي ،
اذ لَفَّعَ الآلُ رؤوسَ الإكامْ . [3]
قومي بنو النجّار ، اذ اقبلت
شهباءُ ترمي اهلها بالقتامْ . [4]
لا نخذل الجارَ ، ولا نُسلم الـ
ـمولى، ولا نُخصَمُ يومَ الخصامْ . [5]
منا الذي يُحمد معروفُه ،
ويفرُجُ اللَزْبَةَ يومَ الزِحامْ . [6]

خمر وفخر

... وقد غدوت على الحانوت يصبحني
من عاتقٍ مثل عين الديك شعشاعٍ ،

---

١) ذِكرها : الضمير للخمرة . جسرة : صفة الناقة المحذوفة ، الشديدة الضخمة . جُلْذية : غليظة . عقام : لا تلد .
٢) دفقّة : سريعة الخطو . زيّافة : مختالة . خنوف : تخنف برأسها اي تميله .
٣) لفّع : غشّى . الآل : ما يُرى كالسراب في اول النهار وآخره .
٤) شهباء : صفة سنة المجذوفة اي ذات جدب وقحط . القتام . الغبار .
٥) نُخصَم : نُغلب .
٦) اللزبة : الشدة .

تغدو عليَّ ، وندمـاني لمرفقه ،
نقضي اللذاذة من لهوٍ واسماعِ .[١]

اذا نشاء دعوناه ، فصبَّ لنـا
من فرغِ منتفِج الحيزوم ركّاعِ .[٢]

وقد اراني ، أمـامَ الحيّ ، منتطقاً
بصارمٍ مثل لون الملحِ ، قطّاعِ ،

تحفزُ عني نِجـادَ السيف سابغةٌ
تُغشي الانامل مثل النِهي بالقاعِ ،[٣]

في فتيةٍ كسيوف الهند ، أوجُهُهم
نحو الصريخ ، اذا ما صوّت الداعي

رأي في الحياة

ومُمسكٍ بصداع الرأس من سُكُرٍ
ناديتُهُ ، وهو مغلوبٌ ، ففدّاني

لما صحا ، وتراخى العيش ، قلت له :
« ان الحياةَ وان الموت مثلانِ !

فاشرب من الخمر ما آتاكَ مشربُه ،
واعلم بانْ كل عيشٍ صالحٍ فانِ ! »

---

١) لمرفقه : متكئ على مرفقه .

٢) دعوناه : ضمير المفعول لصاحب الحـانوت . الفَرغ : فم الاناء ، الناحية التي يُصب منها . منتفج الحيزوم : منتفخ ، ملآن . ركّاع : متصل بالارض .

٣) تحفز : تبعد . نجاد السيف : حمائله . سابغة : صفة للدرع الطويلة . النِهي : ماء الغدير الصافي ، شبّه به الدرع لبياضها .

رأي الاستاذ يوسف غصوب

قال بعد مقدمة طويلة :

« ... القصد من هـذه المقدمة التوصل الى الكلام عن مجموعة ادبية ينشرها هذا الاديب النشيط العامل، وهي وحيدة في بابها كثيرة الفائدة لابناء العربية، جديرة بان تكون في مكتبة كل مشتغل بالادب. وقد دعا هذه المجموعة « بالروائع »

« تشتمل « الروائع » على اجزاء متسلسلة صدر منها الى الان ٢٦ جزءا يتنـاول كل جزء منها درس حياة احد اعلام العربية من عصور الجاهلية حتى ايامنا هذه.

« يسرد المؤلف حياة الكاتب او الشاعر مستنداً الى اوثق المصادر، منحياً جانباً الاساطير والخرافات التي تحوم حول شهرته، مصححاً ما اندس في ترجمتـه من الاغلاط والهفوات . ثم يعمد الى شخصيته فيبحث فيها بحثاً دقيقاً ويدرس العوامل التي صيرته على ما هو او ساعدته على اكتساب منزلته الادبية . ثم يرى رايه في مؤلفاته والاثر الذي تركته في الاداب واللغة والعصر الذي عاش فيه مع ذكر محيطه ومقتبساته، كل ذلك بجملة سهلة قريبة التناول خالصة العروبة . ثم يثبت لك شيئاً من آثاره وآرائه ومبتكراته . »

وبعد ان يذكر انتشار « الروائع » ، وارتياح النقاد اليها ، يختم قائلاً :

« فانت ترى ان اديبنا الشاب لم يضيع وقته فيما لا فائدة فيه بل اتى عملاً يشكر عليه، بل يجب ان يقتدي به كل من احب اللغة العربية واراد ان يخدمها خدمة صادقة . »

السروجي

البرق، بيروت، ٢٠ ك ١ ١٩٢٩

الروائع

سلسلة ابحاث في الادب، ومنتخبات من اشهر اعلامه

السلسلة الرابعة

ظهر حتى الآن

٣١ – الاعشى الاكبر: منتخبات شعرية

٣٢ – كعب بن زهير: بانت سعاد، ومقطّعات شتى

٣٣ – حسان بن ثابت: منتخبات شعرية

يظهر قريباً

في الشعر

الاخطل: منتخبات شعرية

الفرزدق: منتخبات شعرية

جرير: منتخبات شعرية

عمر بن ابي ربيعة: منتخبات شعرية

في النثر

زياد بن ابيه: خطب منتخبة

الحجاج بن يوسف: خطب منتخبة

عبد الحميد الكاتب: رسائل منتخبة

